جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

قوافل الحج العراقية إلى بلاد الحرمين الشريفين إبَّان الحكم الإيلخاني (٦٥٦ـ ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ـ ١٣٣٥م)

Iraqi Hajj convoys to the land of the Two Holy Mosques during the Ilkhanid rule ((656-736 AH/1258-1335 AD)

إعداد
د. مصطفى خلف عبد العال محمدين
مدرس في قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربيّة بأسيوط،
جامعة الأزهر، مصر.

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الثاني (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

قوافل الحج العراقية إلى بلاد الحرمين الشريفين إبّان الحكم الإيلخاني (٦٥٦ــ ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ــ ١٣٣٥م)

مصطفى خلف عبد العال محمدين

قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، بكلية اللغة العربية بأسيوط

البريد الإلكتروني: *mstfykhlfbdalal@gmail.com*

الملخص:

تناول هذا البحث أحد الجوانب الدينية في العصور الوسطى، وهي قوافل الحج العراقي إلى بيت الله الحرام إبان حكم الدولة الإيلخانية، وبيَّن اهتمام المغول الإيلخانيين بتلك القوافل وتسييرها من بلادهم (العراق وما وراءها من بلدان). ومما دعا الباحثَ إلى بيانِ هذا الجانب هو إظهارُ بعض الجوانب المهمة في حياة المغول، وبالرُغم مما اتصفوا به من وحشية وهمجية؛ إلا أن الحج إلى بلاد الحرمين لهو خير دليل على انصهار بعضهم في بوتقة الإسلام، وتغيّر طباعهم وتحضّرهم. والباحثُ عرض طريقَ ودروب القوافل، والمحطات الرئيسة التي كانت على تلك الطرق، كما عرض اهتمام المغول بتلك القوافل، وجهودهم المبذولة لتنظيمها، والإنفاق عليها، وتحقيق سبل الأمن لها، وذلك بالحد من خطر القبائل العربية التي تقيم على طرقها، وتوفير الحراسات اللّازمة لها، وتعيين ذوي الكفاءة لقيادتها. والبحثُ أظهرَ أثر العلاقات السياسية والعسكرية بين الإيلخانيين والمماليك على تلك القوافل، وما قام به المغول من معاهدات واتفاقيات مع المماليك لأجل حماية قوافلهم، وضمان أمنها وعدم الاعتداء عليها، سواء أكان هذا الاعتداء من قبل المماليك أنفسهم، أم من القبائل العربية الموالية لهم. وتناول البحث الأعمال الخيرية التي قام بها الإيلخانيون المسلمون في بلاد الحرمين، سواء أكانت من قبل إيلخاناتهم، أم من قبل أمرائهم، وكبار رجال دولتهم.

الكلمات المفتاحية: قوافل الحج العراقية، بلاد الحرمين، الحكم الإيلخاني.

Iraqi Hajj convoys to the land of the Two Holy Mosques during the Ilkhanid rule *(656-736 AH/1258-1335 AD)*

Mustafa Khalaf Abdel-Al Mohamadeen
Department of History and Islamic Civilization, Faculty of Arabic Language in Assiut

Email: *mstfykhlfbdalal@gmail.com*

Abstract:

This research dealt with one of the religious aspects of the Middle Ages, namely the Iraqi pilgrimage caravans to the Holy House of God during the rule of the Ilkhanid state, and demonstrated the interest of the Ilkhanid Mongols in these caravans and their management from their country (Iraq and the countries beyond). What prompted the researcher to explain this aspect was to show some important aspects of the life of the Mongols, despite the brutality and barbarism that characterized them. However, the pilgrimage to the Land of the Two Holy Mosques is the best evidence of the melting of some of them in the crucible of Islam, and the change in their character and civilisation. The researcher presented the route and routes of the caravans, and the main stations that were on those routes. He also presented the Mongols' interest in those caravans. And their efforts to organize it, spend on it, and achieve security for it, by reducing the danger of the Arab tribes residing on its roads, providing the necessary guards for it, and appointing qualified people to lead it. The research showed the impact of the political and military relations between the Ilkhanids and the Mamluks on those convoys, and the treaties and agreements that the Mongols made with the Mamluks in order to protect their convoys, ensure their security and not attack them, whether this attack was by the Mamluks themselves, or by the Arab tribes loyal to them. The research dealt with the charitable works carried out by the Muslim Ilkhanids in the Land of the Two Holy Mosques, whether by their Ilkhans, or by their princes, and their senior statesmen.

Keywords: *Iraqi Hajj caravans , Land of the Two Holy Mosques , Ilkhanid rule.*

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا. وبعد،،،

شهد المشرق الإسلامي منذ مطلع القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) مخاطرَ خارجية، بلغت من الشدة والاضطراب مبلغًا عظيمًا، وقد تمثَّلت تلك المخاطر في الهجمة الشرسة المدمّرة على أيدي المغول، الذين كانوا ـ في بداية نشأتهم ـ قبائل متفرقة متباغضة، لا تجمعها رابطة ولا صلة، ولا يوجد لها حاكم يجمع كلمتها ويوحّد صفَّها، حتى ظهر جنكيز خان الذي قام بتوحيدها وإخضاعها تحت حكمه وسلطانه، ومن ثَم تكونت لهم إمبراطورية كبرى، استطاعت أن تضرب بكل وحشية وعنف القوى والممالك والدول المجاورة لها، والإطاحة بها الواحدة تلو الأخرى.

وقد استقر فرع منهم ـ الإيلخانيون[١] ـ في بلاد العراق وفارس، وذلك بعد إسقاطهم الخلافة العباسية في بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، وتكوين دولتهم (الدولة الإيلخانية)، ثم ما لبثت هذه الدولة أن أسلم بعض حكامها، وعدد كبير من رعاياها، فكان لذلك أبلغ الأثر في اهتمامهم بالشئون الدينية، ومن الشئون التي اهتموا بها؛ إعادة تسيير ركب الحج العراقي إلى بلاد الحرمين الشريفين.

وقد وقع اختياري على ذلك الموضوع؛ كي أظهر مدى ما تركه الإسلام في نفوس هؤلاء القوم، من تقدم وتطور وتحضر وصلوا إليه بعد دخولهم الإسلام، وتخليهم عن ما

---

(١) والإيلخان: هو لقب لكل حاكم مغولي حكم العراق وفارس، ويتكون هذا اللفظ من مقطعين (إيل)، ومعناه التابع أو الخاضع، و(خان) أي المقصود بها الخانية العظمى، وأطلق هذا اللقب على هولاكو وخلفائه من بعده؛ وذلك نظرًا لتبعية دولته من الناحية الرسمية للدولة الرئيسة (دولة الخان الأعظم في الصين)، الذي كان يسيطر على جميع ممالك المغول بآسيا. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٢١٩.

اتصفوا به من همجية ووحشية وسفك للدماء، وتخريب للعمران، وغيره. لذا جاء هذا البحث بعنوان: "**قوافل الحج العراقية إلى بلاد الحرمين الشريفين إبّان الحكم الإيلخاني (٦٥٦ـ ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ـ ١٣٣٥م)**.

وتم تقسيمه إلى مباحث خمسة كل مبحث عرض جانبًا مهمًا من جوانب البحث.

المبحث الأول بعنوان:" طرق ومسالك الركب العراقي لبلاد الحرمين"، وعرضتُ فيه طريق الركب العراقي المشهور قديما وحديثًا والذي ينقسم إلى فرعين، طريق الكوفة مكة، وطريق البصرة مكة، مع ذكر محطات تلك الطرق.

المبحث الثاني بعنوان: "الحج العراقي قبيل قيام الدولة المغولية"، وذكرتُ فيه رفض المغول في بادئ أمرهم فكرة الذهاب لبلاد الحرمين الشريفين، ثم قبول تلك الفكرة في عهد المغول الإيلخانيين.

المبحث الثالث بعنوان: "جهود إيلخانات فارس في تسيير قوافل الحج العراقي"، وذكرتُ فيه الجهود التي بذلها الإيلخانيون تجاه قوافل الحج العراقية فترة حكمهم، وذلك بالإنفاق عليها، ودعمها، وتوفير كل سبل الراحة لها، وتحقيقهم الأمن عن طريق تخصيص حراسات أمنية لها، وتعيين قادة على قدر عال من الكفاءة على رأس تلك القوات، كما أنهم بذلوا للأعراب واللصوص ما يُسكتهم من الأموال والمنح وغيرها، وعقدوا اتفاقيات مع البطون العربية لكسب ودها، وأخذ رهائن منها في بعض الأحيان.

المبحث الرابع بعنوان: "أثر العلاقات المغولية المملوكية على الحج العراقي"، وبيَّنت فيه علاقة أمن قوافل الحج العراقية في فترة الحكم الإيلخاني بالعلاقات المملوكية، سياسية كانت أم عسكرية، وذكرتُ ما عقده الإيلخانيون من معاهدات واتفاقيات مع الجانب المملوكي، لأجل حماية تلك القوافل ومرورها آمنة مطمئنة.

المبحث الخامس بعنوان: " أعمال الإيلخانات الخيرية في بلاد الحرمين"، وذكرتُ فيه ما قام به الإيلخانيون من أعمال خيرية في مكة والمدينة، سواء أكان عن طريق

الإيلخانات أنفسهم، أم عن طريق الأمراء وكبار رجال الدولة، مثل الأوقاف والمنح والعطايا، وإجراء الماء بمكة المكرمة.

الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

ثم ذيَّلتُ البحث **بفهرس** لأهم المصادر والمراجع.

وفي النهاية: أرجو من الله تعالى أن أكون قد وُفقت في هذا العمل، وأن يثبت للقارئ مدى اهتمام مسلمي المغول بإعداد قوافلهم الذاهبة إلى بلاد الحرمين الشريفين، وتشجيعها، ودعمها، وتقديم كل سبل الراحة وتوفير الأمن لها.

كما أسأله سبحانه أن يجزي عني مشايخي خير الجزاء وأوفاه، وأن يتقبله مني، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فهو من وراء القصد والسبيل، وبالإجابة جدير.

﴿.. وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1].

د/ مصطفى خلف عبد العال محمدين

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بقسم التاريخ

كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر

(١) سورة هود: من الآية (٨٨).

المبحث الأول: طرق ومسالك الركب العراقي لبلاد الحرمين

قبل الحديث عن طريق الركب العراقي إلى بلاد الحرمين الشريفين، تجدر الإشارة إلى أن هناك عدة طرق ومسالك أخرى تجتاز جزيرة العرب إلى مكة المكرمة، وقد اختلفت مسميات تلك الدروب والمسالك بحسب اختلاف الأقاليم المارة بها، ولذا انقسمت تلك الدروب خلال العصور الوسطى (ذلك العصر) إلى أربعة دروب رئيسة: وهي درب الحج المصري، ودرب الحج العراقي، ودرب الحج اليمني، ودرب الحج الشامي[١].

وكل طريق يسمى محَجَّة أو جَادَّة، وكانت جادة بغداد من أعظم هذه الجواد إلى مكة المكرمة المارة بالمدينة؛ إذ بها أربع وثلاثون منزلة، وطولها ٨٣٠ ميلًا = ١٥٣٤ كيلو مترًا[٢]، فيكون متوسط المسافة بين كل منزلين خمسة وأربعين كيلو مترًا (٤٥ كم)، وهي مسيرة يوم بالإبل المحملة بالأثقال[٣].

وقد استَعمَل هذا الطريقَ الجنودُ المسلمين الذين أسهموا في الفتح الإسلامي للعراق وفارس في بداية الحكم الإسلامي المبكر، كما كان لبعض الصحابة ﷺ دور بارز في توفير المياه على هذا الدرب، فحفروا القنوات والآبار، ولا سيما في المحطة المشهورة بـ(فَيْد[٤]) والتي كانت من أهم المحطات على هذا الطريق آنذاك، ولما كانت العناية

---

(١) أحمد هاشم البدرشيني: دروب الحج إلى الحرمين الشريفين في العصور الوسطى، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، لسنة ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥، ص١٠.

(٢) وقد قمت ـ قدر استطاعتي ـ بتحديد المسافات بالكيلو، فعلى سبيل المثال، المرحلة متوسط طول مسافتها ٣٠.٥ كيلو مترًا تقريبًا، وذلك بعد الرجوع لأحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن، الشركة الدولية للطباعة، مصر، ٢٠٠٤م، ص١١٥.

(٣) أحمد عادل كمال: المرجع السابق، ٢٠٠٤م، ص٣٥.

(٤) فَيْد: هي بليدة في منتصف الطريق بين مكة والكوفة، في وسطها حصن عليه باب حديد، وعليها سور دائر، كان الناس والحجاج يتركون فيها فواضل أزوادهم إلى حين رجوعهم وما يثقل ←←←

بطرق الحج من الأعمال التي فخر بإنجازها السلاطين والأمراء المسلمون عبر العصور التاريخية؛ فإن درب الحج العراقي يعتبر قمة ما صنعه المسلمون في هذا المضمار؛ لأنه يعكس معرفتهم بفنون العمارة المختلفة، وعلم الجيولوجيا، وتضاريس الأرض، ومصادر المياه الجوفية والأودية والشعبان (الشِّعاب)، وكذلك معرفتهم بجغرافية الجزيرة العربية[١].

وقد عنى خلفاء بني أمية بهذا الطريق؛ ففي سنة (١٠٤هـ/ ٧٢٢م) أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك عامله على الكوفة عمر بن هبيرة[٢] بأن يقوم بتعبيد طريق الكوفة مكة، وأن ينشئ فيه المحطات، ويحفر الآبار، لأن الحجيج كانوا يجدون صعوبة في الحصول على الماء، لذلك يعد يزيد أول خليفة أموي يهتم بأمر درب الحج العراقي، ثم زادت العناية به من قبل الخلفاء العباسيين منذ تأسيس دولتهم (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) حتى سقوطها على يد المغول سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، بوصفه الطريق الذي تشرف عليه الدولة العباسية صاحبة السيادة على الحرمين الشريفين، فاهتم الخلفاء بإقامة الخيام،

←←←

من أمتعتهم، وكان أهلها يجمعون العلف طول سنتهم لبيعه لركب الحج العراقي إذا ما وصل إليهم. البغدادي (ابن عبد الحقّ) (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م.

(١) أحمد هاشم البدرشيني: المرجع السابق، ص٢٢.

(٢) عمر بن هبيرة: هو عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين أمير العراقين، كان نائبًا ليزيد بن عبد الملك، فعزله هشام بن عبد الملك، وكان قائدًا للأسطول الذي وكل إليه فتح القسطنطينية، وجُمعت له إمارة العراق سنة (١٠٣هـ/ ٧٢١م)، ثم عُزل ليتولى بعده خالد القسري، فقيَّده ونكَّل به وسجنه، فقام غلمانه بإخراجه، فخرج واستجار بالأمير مسلمة بن عبد الملك، فأجاره، ثم لم يلبث أن توفي في سنة (١٠٧هـ/ ٧٢٥م). الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، جـ٤، ص٥٦٢.

وتكليف رجال الحراسة على طول الطريق، هذا فضلًا على منعهم الأعراب من الاعتداء على الحاج ولا حتى الطمع فيه(١).

وقبل الحديث مفصلًا عن طريق الركب العراقي إلى بلاد الحرمين الشريفين يجب العلم بأنه ينقسم هذا الدرب إلى طريقين: أولهما طريق مكة من الكوفة، ومبدأ هذا الطريق يخرج من باب الكوفة في الجنوب الغربي من بغداد، إلى طريق جنوبي آخر، وهو طريق الحج إلى مكة المكرمة(٢).

أولًا: طريق حاج الكوفة:

أول هذين الطريقين هو طريق الكوفة مكة، وطول مسافته، وهي خمسمائة ميل وعشرة أميال (٥١٠)، بما يعادل مائة وسبعين (١٧٠) فرسخًا(٣).

وقد بيَّن ابن فضل الله العمري(٤) بدقة المحطات والأماكن التي يمر بها الحاج العراقي؛ وذكر أن الحجاج العراقيين وغيرهم من حجاج المشرق، يتجمعون في بغداد، ومنها يخرج الركب إلى صَرْصَر، وسميت بذلك لشدة برودتها، ويستغرق الوصول إليها من بغداد مرحلة واحدة؛ أي ما يقارب من (٣٠,٥) كيلو مترًا، وبعد مرحلتين (٦١ كيلو

---

(١) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير ت٦١٤هـ): رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ص١٦٣، ١٧٠، ١٧١. أحمد هاشم البدرشيني: دروب الحج إلى الحرمين الشريفين في العصور الوسطى، ص٢٢، ٢٣.

(٢) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة وتحقيق/ بشير فرنسيس، وآخر، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٢٥، ٤٨.

(٣) العُمَري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق/ مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، جـ٢، ص٣٠٦.

(٤) مسالك الأبصار، جـ٢، ص٣٤٥، ٣٤٦.

مترًا) يصل الركب إلى فراشة وهي قرية زراعية مشهورة في منطقة سواد بغداد[١] ينزلها الحاج، وبعد مرحلة واحدة (٣٠,٥ كيلو مترًا) يصل الركب إلى شط الفرات مدينة الحلة، وهي مدينة مشهورة بين الكوفة وبغداد، وبعد مرحلتين (٦١ كيلو مترًا) يصلون إلى بئر سلامة، يليها مدينة الكوفة، ويقيم فيها الركب حتى يتكامل الناس، فالحجاج يخرجون إلى الكوفة جماعات ومثنى وفرادى، وفيها تجتمع رفقتهم، وتلتئم فرقتهم، ثم يرحل الركب من الكوفة، فمنهم من ينزل مشهد على بن أبي طالب ﷺ، وهو عن الكوفة دون المرحلة، وإنما ينزل به من ينزل استعدادًا للسفر، أو لقصد زيارة، ذلك المشهد، ومنهم من لا ينزل إلا القادسية، وهي على بعد مرحلة كاملة (٣٠.٥ كيلو مترًا) من الكوفة، ويقيم الركب بها يومًا.

ثم يرحل الركب العراقي مرحلة (٣٠.٥ كيلو مترًا) حتى يصل إلى الْعُذَيْب، وهو أول منازل البر من هذه الطريق، فيرد ماءه، ثم يرحل مسافة مرحلتين (٦١ كيلو مترًا) حتى يصل إلى الرّحيبة، ويرد ماءها، ثم يرحل مسافة أربع مراحل (١٢٢ كيلو مترًا)، حتى يصل إلى سَلْمى، ثم يرحل الركب مسافة أربع مراحل (١٢٢ كيلو مترًا) حتى يصل إلى الْقَرْعَاء، وسميت بذلك لقلة نباتها، ثم يتابع الركب العراقي سيره مسافة أربع مراحل (١٢٢ كيلو مترًا) حتى يصل إلى وَاقِصَة، وهي من أشهر مناهل هذا الطريق بها آبار

---

(١) سواد بغداد: وهو اسم يطلق على الأراضي الواقعة ما بين نهري دجلة والفرات، في بلاد العراق، وقد اختُلف في سبب تسميتها بذلك، فالمشهور أنها سُميت سوادًا لسوادها بالزرع والأشجار، فالخضرة ترى من البعيد سوادًا، وقيل: إن المسلمين ﷺ الذين قدموا العراق للفتح، لما أقبلوا على تلك المنطقة قالوا ما هذا السواد؟ فسمي به، وقيل سمي سوادًا لكثرته من قولهم السواد الأعظم، والتسمية كناية عن كثرة الزروع بالمقارنة مع أراضي الجزيرة العربية قليلة الشجر. الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، جـ٣، ص٢٧٢. مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص٢٦١.

وبرك وصهاريج مياه، وبعد أربع مراحل أخرى (١٢٢ كيلو مترًا) يصل الركب إلى خاديت، ثم يسير مسافة ست مراحل (١٨٣ كيلو مترًا) حتى يصل زَرُود ويرد ماءها، ويسير أربع مراحل (١٢٢ كيلو مترًا) إلى قتن، وهو جبل قرب سَمِيراء، ثم أربع مراحل أخرى (١٢٢ كيلو مترًا) إلى تخت سليمان، ثم أربع مراحل (١٢٢ كيلو مترًا) إلى عاج، ثم يسير ركب الحجاج مسافة ثمان مراحل (٢٤٤ كيلو مترًا) حتى يصل إلى بُوَيرات ويردوا ماءها، ثم يسير مسافة الركب ست مراحل (١٨٣ كيلو مترًا) حتى يصل إلى ذات عرق، ويرد ماءها، وهو ميقات أهل العراق، فمنها يحرم الحجاج ويهلون بالتلبية، ثم يرحلون مسافة أربع مراحل (١٢٢ كيلو مترًا) ويصلون إلى وادي نخلة، ويردون ماءها، ويستعدون لدخول مكة، وهذا الوادي من أحسن وديان مكة وأنضرها، وأمتع في عين من تمتع بنظرها، ثم يسير ركب الحجاج مسافة مرحلة واحدة (٣٠,٥ كيلو مترًا) ويصل إلى مكة المعظمة(١).

أما إذا أراد الركب أن يتجه إلى المدينة المنورة أولًا قبل مكة المكرمة؛ فإنه عندما يصل إلى الأجفُر يسير مسافة خمس مراحل (١٥٢ كيلو مترًا) إلى فَيْد، ويرد ماءه، ثم مسافة مرحلتين (٦١ كيلو مترًا) إلى أسميرون (سَميراء)، ثم يرحل مسافة مرحلتين (٦١ كيلو مترًا) حتى يصل إلى النُّقرة، ثم يرحل مسافة خمس مراحل (١٥٢ كيلو مترًا) كي يصل إلى وادي العروس، وهذا المكان ماؤه عذب، ثم يصل إلى المدينة المنورة، ويسمى هذا الطريق طريق الجادة السلطانية، ويسمى ــ أيضًا ــ درب زُبيدة، وهو الطريق الذي يسير فيه المحمل العراقي(٢).

---

(١) العمري: مسالك الأبصار، جـ٢، ص٣٤٦. ليلى أمين عبد المجيد: طرق الحج إلى مكة المكرمة في عصر سلاطين المماليك (٦٦٧ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٦٨ـ ١٥١٧م)، بحث منشور بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد٧٦، لسنة ٢٠١٥م، ص١٣، ١٤.

(٢) العمري: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٤٦، ٣٤٧. ليلى أمين عبد المجيد: المرجع السابق، ص١٤، ١٥.

ثانياً: طريق حاج البصرة:

وهناك طريق آخر للحج العراقي يخرج من البصرة، يسير في بادئ أمره في موازاة الطريق الأول، ويلتقيان أخيرًا على مرحلتين من شمال مكة[١]، والمسافة التي بين مكة وبين البصرة ستمائة ميل وعشرة أميال(٦١٠ ميل)[٢].

ويأتي طريق البصرة في المرتبة الثانية، من حيث الأهمية بعد طريق الكوفة بالنسبة لحجاج العراق وما وراءه من الأقاليم، وأهم منازل هذا الطريق هو المنجشانية، وهي على بعد ثمانية أميال من البصرة (١٥ كيلو مترًا تقريبًا)، وهي المكان الذي يخرج إليه الناس، وبها يجتمعون[٣].

ثم بعد ذلك يصل الحجاج إلى الحُفَير، وهو أول منازل البَر، وبينه وبين البصرة واحد وثلاثون ميلًا (٥٧ كيلو تقريبًا)، ثم يمضي الحاج إلى الرُّحَيل وماؤه عذب، ومن الحُفَير إلى الرُّحَيل ثمانية وعشرون ميلًا (٥٢ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم يصل الركب إلى الشَّجِي، وسمي كذلك لإحاطة الماء به، ومن الرُّحَيل إلى الشَّجِي تسعة وعشرون ميلًا (٥٤ كيلو مترًا تقريبًا) وبه آبار عذبة، ثم الخرجاء، وسميت بذلك لأن فيها سوادًا وبياضًا، ومن الشَّجِي إلى الخرجاء ثلاثة وثلاثون ميلًا (٦١ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم إلى حفر أبي موسى، وسميت بذلك لأن أبا موسى الأشعري ﷺ حفر فيها بئرًا، ومن الخرجاء إلى الحفر سبعة وعشرون ميلًا (٥٠ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم إلى ماويّة، وسميت ماويّة لصفاء مائها، فهي من أعذب مياه العرب على طريق البصرة، ومن الحفر إلى ماويّة اثنان وثلاثون ميلًا (٦٠ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم إلى العُشَر، ومن ماوية إلى العُشَر تسعة

---

(١) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٥، ٤٨.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، جـ٢، ص٣٠٦.

(٣) الحربي (إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير ت٢٨٥): كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق/ حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، السعودية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٥٧٥.

وعشرون ميلًا (٥٤ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم اليَنسوعة، ومن العُشَر إلى اليَنسوعة ثلاثة وعشرون ميلًا (٤٢.٥ كيلو مترًا)، ثم السُّمينة، فمن اليَنسوعة إلى السُّمينة تسعة وعشرون ميلًا (٥٤ كيلو مترًا تقريبًا)، وفيها آبار عذبة وآبار مالحة، ثم إلى النِّبَاح، وسميت بذلك لكثرة أهلها، وكثرة الأصوات، ومن السُّمينة إلى النِّبَاح ثلاثة وعشرون ميلًا (٤٢,٥ كيلو مترًا)، ومنها يعدل من أراد إلى المدينة فيأخذ الطريق الأيمن إلى النقرة على طريق الحاج الكوفي[١].

ومن أراد مكة أكمل وأخذ الطريق الأيسر إلى العوسجة، ومن النِّبَاح إلى العوسجة تسعة عشر ميلًا (٣٥ كيلو مترًا تقريبًا)، وبها آبار قريبة الماء، ثم إلى القريتين، ومن العوسجة إلى القريتين اثنان وعشرون ميلًا (٤٠.٥ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم يتجه الركب إلى رامة، ومن القريتين إلى رامة أربعة وعشرون ميلًا (٤٤.٥ كيلو مترًا تقريبًا) وبها آبار كثيرة، ثم يتجه الركب إلى إمّرة، ومن رامة إلى إمّرة سبعة وعشرون ميلًا (٥٠ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم يتجه الركب إلى طِخْفَة، ومن إمّرة إلى طِخْفَة ستة وعشرون ميلًا (٤٨ كيلو مترًا تقريبًا)، وبها آبار كثيرة، ثم يتجه الركب إلى ضرَيّة، ومن طخفة إلى ضرَيّة ثمانية عشر ميلًا (٥٢ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم يتجه الركب إلى جديلة، ومن ضرَيّة إلى جديلة اثنان وثلاثون ميلًا (٦٠ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم فَلجة، ومن جديلة إلى فَلجة خمسة وثلاثون ميلًا (٦٤.٥ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم إلى الدَّثِينة، ومن فَلجة إلى الدَّثِينة ستة وعشرون ميلًا (٤٨ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم قُبا، ومن الدثينة إلى قُبا سبعة وعشرون ميلًا (٥٠ كيلو مترًا تقريبًا)، وبقُبا آبار قريبة الماء، وماء كثير، ثم يتجه الركب إلى مَرَّان، ومَرَّان تقع قبل الشبيكة بثلاثة أميال (٥.٥ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم يتجه الركب إلى الشبيكة، ومن قُبا إلى الشبيكة سبعة وعشرون ميلًا (٥٠ كيلو مترًا تقريبًا)، وبالشبيكة آبار طيبة، وتقع على طريق التنعيم بين الزاهر ومكة، وهي من أنظف وألطف أحياء

(١) الحربي: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٥٧٥ـ ٥٨٧.

مكة، ثم إلى وَجْرة، ومن الشبيكة إلى وَجْرة أربعون ميلًا (٧٤ كيلو مترًا تقريبًا)، ثم إلى ذات عِرق، ومن وَجْرة إلى ذات عِرق سبعة وعشرون ميلًا (٤٨ كيلو مترًا تقريبًا)، وهي ميقات أهل العراق، ثم البستان، ومن ذات عرق إلى البستان أربعة وعشرون ميلًا (٤٤.٥ كيلو مترًا تقريبًا)، ومن البستان إلى مكة ثمانية وعشرون ميلًا (٥٢ كيلو مترًا تقريبًا)[١].

وبذلك يكون قد انتهى الطريقان اللذان كانا يؤديان إلى مكة المكرمة من بلاد العراق وما وراءها من أقاليم وبلدان.

(١) الحربي: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص٥٨٧ ـ ٦٠٣. سعيد بن دبيس العتيبي: طريق الحج البصري أهميته التاريخية، بحث منشور في مجلة الدرعية، المملكة العربية السعودية، العدد (٣٦)، لسنة ٢٠٠٧م، ص١٦٧، ١٦٨.

مسارات الحج الكوفي والبصري والشامي والمصري(١)

(١) وليد سعد الزامل، عبد الرزاق بن ثابت محمد: تتبع درب زبيدة التاريخي من الكوفة حتى مكة المكرمة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، بحث منشور في مجلة كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١١٤١هـ، ص٥٧.

المحطات الرئيسة لطريقي العراقي إلى مكة المكرمة[١]

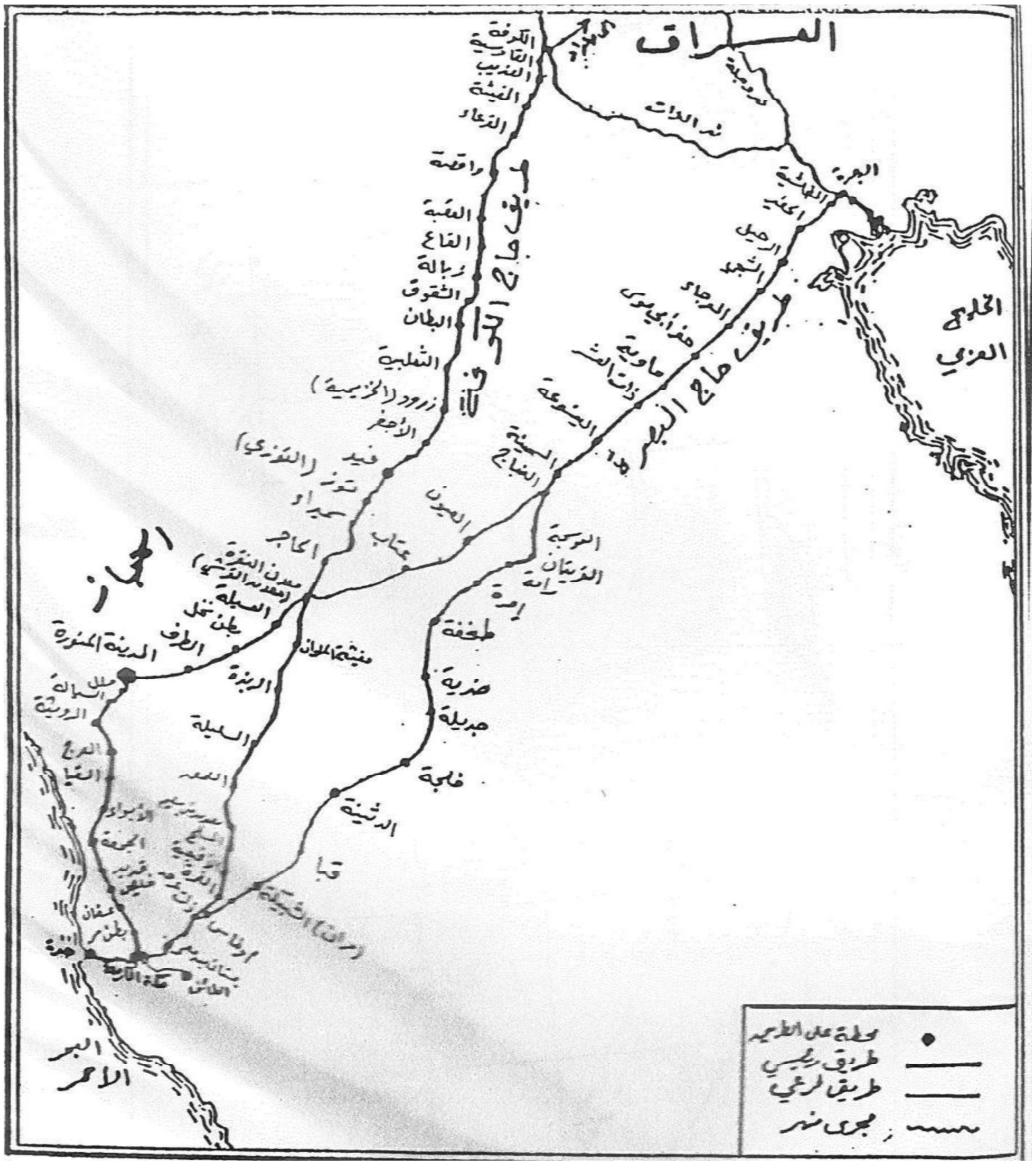

(١) ليلى أمين عبد المجيد: طرق الحج إلى مكة المكرمة في عصر سلاطين المماليك، ص٢٨.

المبحث الثاني: الحج العراقي قبيل قيام الدولة المغولية:

لمحة على ركب الحج العراقي قبيل الحكم المغولي للعراق:

كثيرًا ما ترددت قوافل الحج إلى مكة عبر هذا الطريق من العراق إبَّان الفترات التي سبقت فترة الحكم المغولي، وقد انتظمت في سيرها حينًا من الدهر، ولم تنتظم في أحيان أخرى، وربما يكون ذلك مرهونًا بالحالة السياسية والأمنية في البلاد.

وبالنظر للعصر العباسي الذي سبق العصر المغولي فسنذكر بعض الحالات على سبيل المثال، ففي سنة (٥٦٣هـ/ ١١٧٦م) أثناء رجوع الحجاج إلى العراق؛ خرجت عليهم بنو خفاجة[١] في طريق الحلة، فقطعوا طريق جزء من الحجاج، فأخذوا أموالهم وقتلوا جماعة منهم[٢].

ولم يستطع أحد من العراق أن يذهب لحج بيت الله الحرام في سنتين متواليتين، وهما سنة (٦٣٤هـ/، ١٢٣٦م)، وكذلك سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)، ويبدو أن السبب في ذلك؛ هو حركة القوات المغولية واقترابهم من العراق وكسرهم لعسكر الخليفة، وأخذهم

---

(١) ومن الجدير بالذكر: أن عرب خفاجة قبل الحكم الإيلخاني اشتهروا بالسلب والنهب والتخريب في تلك المناطق، وقد ذكر ابن جبير في رحلته: أن من أسباب خراب الكوفة قبيلة خفاجة. رحلة ابن جبير، ص١٦٨. ثم صاروا في فترة حكم الدولة الإيلخانية من أهم قبائل العراق، فأقاموا فيه، وملكوا ضواحيه، وديارهم تمتد من الفرات إلى بادية العراق. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف باسم: "تاريخ ابن خلدون"، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، جـ٦، ص١٦.

(٢) ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة، الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، جـ١٨، ص١٧٦.

مدينة أربيل[١].

وقد تكرر الأمر نفسه في سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، وسنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، حيث لم يحج ركب العراق في هاتين السنتين؛ وربما لاهتمام الحكومة العباسية بأمر التتار[٢].

غير أنه وَفَد ركب العراق إلى مكة المكرمة في سنة (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، بقيادة الأمير مجاهد الدين أيبك (عرف بالدويدار)، ومعه أربعمائة فارس، وقد حجت والدة الخليفة المستعصم في تلك السنة ومعها أربعمائة مملوك[٣].

ثم ما لبث أنه انقطع وفد الحج العراقي في سنة (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)، وسنة (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وكان سبب الانقطاع يرجع إلى اعتداءات الأعراب واشتطاطهم في الطلب، بالإضافة إلى قلة المياه في الطريق، والانشغال بحركة عساكر المغول[٤].

وفي سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) عاود ركب الحج العراقي ذهابه إلى مكة المكرمة، وذلك بعد انقطاعهم مدة قاربت العشر سنوات منذ وفاة الخليفة المستنصر[٥]، كما حج

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م، جـ٤٦، ص١٧، ٢١.
أربيل: وكانت تعرف في الماضي بـ (أرابيلا)، وهي مدينة كبيرة بالعراق، على مقربة من مدينة الموصل، ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع، جـ١، ص٥١. عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، دار أوراق شرقية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م. ص٤١.

(٢) الذهبي: المصدر السابق، جـ٤٦، ص٣٩، ٤١.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، جـ٤٧، ص٨.

(٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق/ مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٣م، ١٥٨، ١٩٧.

(٥) ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، جـ٧، ص٢٣.

الركب العراقي سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) وأن أمير الحج آنذاك هو الأمير فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير[١].

(١) ابن الفوطي: الحوادث، ص٢٢٤.

المبحث الثالث: جهود إيلخانات فارس في تسيير قوافل الحج العراقي

قبل البدء في ذكر قوافل الحج من بلاد العراق وما وراءها إلى بلاد الحرمين الشريفين؛ لابد أن نشير إلى أمرين مهمين:

الأمر الأول: أن قوافل الحج وانتظامها إلى بلاد الحرمين الشريفين من بلاد الصين، أو بلاد ما وراء النهر، في العهود المغولية الأولى (مدة حكم الخانات العظام)، يندر ذكرها؛ ولعل السبب في ذلك؛ يكمن في أن أغلب خانات المغول العظام الأُول كانوا يدينون بالبوذية، ولم يكن للإسلام والمسلمين الكلمة الأولى في دولتهم في ذلك الوقت؛ لكونهم أقلّية لا تملك من أمرها شيئًا. هذا فضلًا على أن جنكيز خان نفسه لم يتهم بأمر الحج[١]، ولم يتقبل الفكرة أصلا، رغم جواره وقربه من بلدان العالم الإسلامي[٢]، ولما ذكر له الحج إلى مكة المكرمة لم يوافق عليه، وذكر أنه لا فائدة منه؛ متعللًا بأن الأرض كلها لله، والصلاة تصل إليه أينما كان المصلي[٣].

الأمر الثاني: لوحظ أن المصادر لم تشر من قريب أو بعيد إلى سير وانتظام قوافل الحج القادمة من دولة مغول القفجاق (فرع القبيلة الذهبية) إلى بلاد الحرمين الشريفين؛ وإن كانت؛ فهي حالات فردية وبعدد قليل، وبوصاية من خاناتها وعن طريق مصر، وربما

---

(١) لما طلب بعض العلماء المسلمين من جنكيز خان رغبتهم في الحج إلى مكة المكرمة؛ لم يوافق على ذلك، وذكر: أن العالم كله بيت الله، فلماذا يُخصص في محل معين؟ ولم يبيّن له هؤلاء العلماء السبب الذي أورده القران الكريم، وهو أنه أول بيت وضع للناس، وأنه واسطة تعارف بين المسلمين، باعتباره موطن الهداية والدعوة الأولى. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين "حكومة المغول"، مطبعة بغداد، العراق، ١٩٣٥م، جـ١، ص١٣٠.

(٢) عبد الرسول خير أنديش: أزمة الحضارة الإسلامية في عصر المغول، بحث منشور في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، إيران، لسنة ١٩٥١م، العدد (٦)، ص٢٨.

(٣) عبد الفتاح السرنجاوي: النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية، دار الكتب الأهلية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٥م، ص٢٥٣.

يكون السبب في ذلك؛ بُعْد المسافة بين البلدين، أو تدهور الأوضاع السياسية هناك، أو ربما يكون العداء التقليدي بين دولتي مغول القفجاق وفارس مثَّل عائقًا أمام تحرك تلك القوافل، لا سيما وأن تلك القوافل وهي في طريقها إلى بلاد الحرمين لابد وأن تمر بالبلاد الواقعة تحت سيطرة المغول الإيلخانيين.

ومما يؤكد ذلك أن بعض المصادر قد أشارت إشارة بسيطة لهذا الأمر؛ ففي سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) أرسل تدان منكو[١] (خان القبيلة الذهبية) إلى السلطان المملوكي المنصور قلاوون يطلب منه أن يساعد رسله ـ منهم مجد الدين أطا، ونور الدين ـ الذين أرسلوا إلى السلطنة المملوكية على الذهاب إلى بيت الله الحرام؛ لرغبتهم في الحج، فأمر السلطان بتجهيزهم إلى الحجاز، ولما عادوا؛ سفَّرهم إلى بلادهم آمنين مطمئنين على أحسن حال، وكان السبب في إرسالهم إلى السلطان المملوكي؛ أنهم كانوا يحملون كتابًا يتضمن إخباره بدخول تدان منكو الإسلام، وجلوسه على العرش المغولي في القفجاق[٢].

---

(١) تدان منكو: هو الابن الثالث من أبناء طغان بن باتو بن جوجي، تولى الحكم في دولة مغول القفجاق بعد وفاة منكوتمر سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وتنازل عن الحكم لابن أخيه تلابغا سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م). الهمذاني: جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص١٠٩، ١٢٦. بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ـ ٧١١ هجرية)، تحقيق/ عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص١٠٧.

(٢) بيبرس الدوادار: زُبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق/ دونالد س ريتشَاردز، مؤسسة حسين درغام، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص٢٣٤. الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، جـ١، ص٤٦٠.

ثم بعد مضي الوقت، أو بعد هدوء المغول من هجماتهم الشرسة التي قاموا بها ضد العالم الإسلامي؛ بدأت فكرة الذهاب إلى بلاد الحرمين الشريفين تلقى قبولًا لدى إيلخانات فارس شيئًا فشيئًا، خاصة مع تزايد أعداد المسلمين في المجتمع الإيلخاني، فلا شك أن اعتناق الشعوب المغولية الغربية للإسلام أتاح الفرصة لظهور طائفة جديدة من المسافرين على الساحة، وهم الذاهبون لأداء فريضة الحج في مكة(١).

كما أنه وفي تقديري أن فكرة الموافقة على تسيير قوافل الحج المغولية إلى بلاد الحرمين جاءت مما عرف عن المغول من مبدأ عدم تعصبهم لمذهب ولا دين بعينه: وقد جاء في الياسا(٢): "وألزمهم ألا يتعصبوا لشيء من المذاهب" (٣).

بدء تسيير قوافل الحج العراقي إلى بلاد الحرمين:

على الرغم من توقف ركب الحج العراقي مدة، بسبب الغزو المغولي للبلاد؛ إلا أنه سرعان ما استأنف سيره إلى بلاد الحرمين في فترة حكم الإيلخانيين، فبعد أن أسقط الإيلخانيون الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، واستقرت دولتهم، وأسَّسوا

(١) إيرين فرانك، ديفيد براونستون: طريق الحرير، ترجمة: أحمد محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ص٣٤٠.

(٢) الياسا: هي عدة قوانين وضوابط وضعها جنكيز خان لقومه؛ ليتحاكموا إليها، ويحكموا بها، ويقفوا على أوامرها، ونواهيها. ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق/ حسنين محمد ربيع، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع، جـ٤، ص٣٦، ٣٧. ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، جـ١٧، ص١٦٠.

(٣) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ "الخطط المقريزية"، تحقيق/ محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، جـ٣، ص٨٤.

قواعدها؛ شرعوا في إقامة مناسك الحج من جديد؛ وكان ذلك ضمن الإجراءات التي اهتم بها علاء الدين الجويني[١]. فلأول مرة بعد قيام الدولة المغولية في إيران تمكن أهل العراق وإيران من أداء هذه الفريضة الإسلامية، ولا شك أن القيام بمثل هذا العمل يعد نجاحًا مشرفًا لجميع المسلمين الذين كانوا يخضعون لحكم المغول في تلك البلاد[٢].

وقد بدأت فكرة التسيير تحديدًا في سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)، وذلك حينما قام الصاحب الجويني وجهَّز وفدًا للحج من بغداد إلى بلاد الحرمين الشريفين[٣].

ومما لا شك فيه ـ وبصفة عامة ـ أن الوضع الأمني على طريق الركب العراقي إلى بلاد الحرمين الشريفين أقلّ بكثير من الوضع الأمني على طرق الحج الشامية والمصرية التي تؤدي إلى مكة، وذلك يرجع إلى احتلال المغول لبغداد، وفي الوقت نفسه قوة المماليك في حكمهم وسيطرتهم، مما جعلهم يهتمون بأمن طرقهم التي تنطلق من بلادهم إلى مكة[٤].

وتجدر الإشارة إلى أن المغول الإيلخانيين في مشروعهم الأمني لقوافل الحج العراقية إلى بلاد الحرمين؛ قد شغلهم أمران: **الأول**: خوفهم من غدر القوات المملوكية، فتقوم بالاعتداء على قوافلهم إلى بلاد الحرمين، أو من الأعراب التابعين للسلطة

---

(١) علاء الدين الجويني: هو عطا ملك بن محمد بن محمد الأجل، صاحب الديوان الخراساني، أخو الصاحب الوزير شمس الدين الجويني، وكان إليهما الحل والعقد، ونالا من الجاه والحشمة ما يتجاوز الوصف، توفي علاء الدين في عهد أرغون خان سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق/ أحمد الأرناؤوط، تزكي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، جـ٢٠، ص٨٤.

(٢) شرين بياني: المغول "التركيبة الدينية والسياسية"، ترجمة/ سيف على، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م، ص٢٧٧.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، جـ٤٩، ص٣٢.

(٤) العمري: مسالك الأبصار، جـ٢، ص٣٤٧.

المملوكية، وذلك بحكم العداء التقليدي بين الدولتين، وقد تفادى المغول هذا الخطر من تلك الناحية؛ وذلك باهتمامهم بعقد الاتفاقيات ومعاهدات الصلح بينهم وبين المماليك، أما الأمر **الثاني**: فكان خوفهم من الأعراب، أو اللصوص والمفسدين المقيمين على طرق الحج، واستطاع المغول ــ أيضًا ــ معالجة هذا الأمر؛ وذلك ببذلهم للأعراب واللصوص ما يسكتهم من الأموال والمنح وغيرها، أو عقد اتفاقيات مع البطون العربية لشراء ودها، وأخذ رهائن منها، هذا فضلًا عن قيام المغول بتخصيص قوات حراسة معينة لحماية الحجاج وقوافلهم، والعناية بهم(١).

ولقد وضح الاهتمام الإيلخاني بأمر الحج وتسيير قوافله في رسالة أرسلها رشيد الدين الهمذاني(٢) لابنه (جلال الدين) أثناء حكمه لبلاد الروم، بقوله: "... ليعلم أن حج بيت الله الحرام بحكم ولله على الناس حج لبيت لمن استطاع إليه سبيلًا من مهامه الكلية وآمانيه الأصلية، ومهما كان بسبب حراسة البلاد وحماية العباد بعيدًا عن هذه الخطوة الأبدية والسعادة السرمدية، فليكن راغبًا للجمال في القلب، طالبًا وصال الكعبة في الروح ...".

والحقيقة أن قوافل الحج العراقي إلى بلاد الحرمين لم تسر على وتيرة واحدة من الأمن والأمان، فلقد تحقق لها الأمن والسلامة حينًا، وتعرضت للأذى والسلب والنهب حينًا آخر؛ بسبب ما تتعرض له من اعتداءات على قوافلهم في طرقهم.

ففي سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) قام الركب العراقي ولأول مرة ــ بعد الهجوم المغولي على بلدان الخلافة ــ بالحج إلى بيت الله الحرام، وذلك حينما أمر الصاحب علاء الدين

---

(١) هذا ما سيتضح من خلال المباحث القادمة.

(٢) مكاتبات رشيدي، لرشيد الدين فضل الله الهمذاني، تم ترجمته في رسالة ماجستير: للباحثة: ثريا محمد محمد علي، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨١م، ص٧٦.

الجويني (صاحب الديوان) الناس بالتأهب للحج، وقام الصاحب بنفسه ليجهز الفقراء منهم، وزودهم بكل ما يحتاجونه[١].

كما قام الصاحب باستدعاء المشهورين من رؤساء القبائل التي تمر على مناطقها قافلة الحج العراقي، فأغدق عليهم أموالًا كثيرة إرضاءً لهم، وأخذ منهم بعض الرهائن؛ ضمانًا لتسيير الحجاج آمنين، وحمايتهم وعدم التعرض لهم، وإعادتهم سالمين، ومضى الصاحب مع الوفد يرافقه حتى وصل الكوفة، وعيَّن للناس من يتأمر عليهم في السفر، فحجوا وعادوا سالمين[٢].

ومما يؤكد تبني المغول لفكرة سير قوافل الحج، وبذل الحماية والأمان لها؛ أن قوافل الحج التي سارت من العراق في السنوات (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)، و(٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، و(٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) وكلها لقيت أمنًا وأمانًا، وعادت جميعها سالمة دون أن يتعرض لها أحد بسوء[٣].

ومما يجب الانتباه إليه أن السنوات السابقة منذ أن بدأ تسيير القوافل العراقية وحتى سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) كان الحكم المغولي فيها للإيلخان أباقا خان[٤] ـ وإن

---

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٥٦. الجزيري (عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ت٩٧٧هـ): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق/ محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، جـ١، ص٣٨٧.

(٢) ابن الفوطي: المصدر السابق، ص٢٥٦. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، جـ٤٩، ص٣٢، محمد داود القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، بغداد، ١٩٧٠م، ص٢٣١.

(٣) ابن الفوطي: المصدر السابق، ص٢٦٢، ٢٨٦.

(٤) أباقا خان: هو الأبن الأكبر لهولاكو بن تولوي، ولد سنة (٦٣١هـ/ ١٢٣٤م)، جلس على العرش الإيلخاني بعد وفاة والده سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٣٦م)، وتوفي سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م)، وكانت مدة حياته أربعين سنة وسبعة أشهر، وقُدّرت مدة حكمه سبع عشرة سنة وأربعة أشهر.

←←←

كانت الجهود للأمير الجويني ـ وهو حاكم غير مسلم، وعلى الرغم من عدم إسلامه؛ إلا أنه لم يعترض على فكرة خروج القوافل، والإنفاق عليها من مال الدولة، وهذا ما يؤكد أن المغول تخلوا عن تعصبهم لدياناتهم ولمذاهبهم، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أصبح المسلمون في ذلك الوقت قوة لا يستهان بها، مما جعلهم يصلون إلى بغيتهم، وهو الذهاب لحج بيت الله الحرام.

غير أن الركب العراقي تعرض للأذى، فقد تحرك في سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) عدد كبير من حجاج العراق وما وراءها من بلدان إلى مكة المكرمة، وحينما وصلوا إلى مكان يسمى بـ"الناشبية"، فلم يستطيعوا السير، وتم حبسهم عدة أيام من قبل الأعراب، وتم إجبارهم على دفع اثني عشر دينارًا عن كل راحلة بالقهر والضرب والذل، الأمر الذي اضطرهم للرجوع دون أن يتمكنوا من الوصول إلى مكة، ولا أداء فريضة الحج(١).

ومن الممكن وفي تقديري أن يكون سبب هذا الاعتداء على الركب العراقي مقترنًا بوضع الحالة السياسية في الدولة الإيلخانية وقتئذ؛ فقد توفي في هذه السنة الإيلخان أباقا خان بن هولاكو وتولى أرغون خان(٢)، وتذبذبت أحوال الدولة؛ لاختلاف الأمراء

←←←

الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، جـ٢، (الإيلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخاتو خان)، ترجمة: محمد صادق نشأت، وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع، ص٣.

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٩٥.

(٢) أرغون: هو الابن الأكبر لأباقا خان بن هولاكو، تولى حكم الدولة الإيلخانية بعد قتل عمه السلطان أحمد سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)، واستمر في الحكم حتى سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م). الهمذاني: جامع التواريخ جامع التواريخ، مج٢، جـ٢، (تاريخ أبناء هولاكو)، ص١٢٤. الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٨، ص٢٢٧.

والأنجال[١] على من سيخلف الإيلخان في الحكم، حتى استقروا في نهاية الأمر على تولي أحمد تكودار بن هولاكو[٢] حكم الدولة الإيلخانية[٣].

الحج في عهد السلطان أحمد تكودار:

وفي عهد السلطان المغولي (المسلم) أحمد تكودار اهتم بأمر الحج العراقي وتسييره، وأمن طرقه، وبدا هذا الاهتمام واضحًا من خلال رسالة أرسل بها للسلطان المملوكي المنصور قلاوون، يقول فيها: "وأمرنا بتعظيم أمر الحاج، وتجهيز وفدها، وتأمين سبلها، وتسيير قوافلها .."[٤].

كما قام السلطان أحمد بتخصيص مبلغ كبير من المال لدعم حجاج بيت الله الحرام، والإنفاق على تلك القوافل، فرتَّب لهم المؤنة، كما فوض لأتباعه بعض الأوقاف في كافة الممالك لأجل هذا الغرض، وسلَّم رجال الحكومة مبلغًا من الديوان لإعداد قوافل الحجيج[٥].

---

(١) الأمراء الأنجال: هم الذين ينتمون لسلالة الأسرة الجنكيزية الحاكمة، وتجري في عروقهم الدماء الملكية.

(٢) أحمد تكودار: هو الابن السابع لهولاكو بن تولوي خان، كان ملكًا مسلمًا، شهمًا، خبيرًا بأمور الرعية، لا يصدر عنه إلا ما يوافق الشريعة الإسلامية، تولى حكم الإيلخانية بعد وفاة أخيه أباقا سنة (٦٨١هـ/ ١٢٨٣م)، ثم لم يلبث أن نازعه ابن أخيه أرغون الملك، حتى تمكن من قتله، والجلوس على العرش الإيلخاني سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م). الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٨، ص١٤٧، ١٤٨.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ جامع التواريخ، مج٢، جـ٢، (تاريخ أبناء هولاكو)، ص٩٢.
Sykes: History of Persia, London, 1921, vol 11, P,110.

(٤) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٢٢١.

(٥) خواندمير: (غياث الدين محمد بن همام الدين محمد الحسيني ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م): حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تصحيح: محمد دبير سياقي، از انتشارات كتابفروشي خيام، تهران، در هزار نسخة سال، ١٩١٤م، جلد سوم، ص١١٩.

الحج في عهد أرغون خان ونائبه سعد الدولة اليهودي[١]:

عندما آل الحكم إلى الإيلخان أرغون بن أباقا استمر الحج مدة على هذا المنوال، من الأمن والأمان والحماية المبذولة له، والدليل على ذلك؛ حديث الحجاج أنفسهم في سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) بعودتهم طيبين، وإخبارهم بأمن الطريق، وأن الأسعار في مكة والمدينة كانت رخيصة، وكذلك سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، حج فيها عدد كثير، وذلك على الرغم من غلاء الأسعار، وصعوبة الحال في العراق[٢].

وفي أواخر عهد الإيلخان أرغون، تسلط نائبه سعد الدولة اليهودي على جلّ أمور الدولة، وتظاهر النائب في بادئ أمره بالعمل على نشر الشريعة الإسلامية، وأرسل بهذا المضمون رسالة إلى أهل بغداد سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م) يوصي فيها برعاية الحجاج وتقديم المساعدة لهم[٣].

ويبدو أن سعد الدولة أراد بهذا التقرب أمراً ظاهرًا؛ وهو محاولة كسب عطف وود المسلمين، الذين كانوا بالتأكيد ساخطين على حكم أرغون ونائبه مع كثرتهم، لأنه أقصى عددًا منهم عن المناصب المهمة، وفي الوقت نفسه ولَّى أمور الدولة إلى سعد الدولة

---

(١) سعد الدولة اليهودي: عمل سعد الدولة في سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٨٨م) طبيبًا في بلاط أرغون خان، وتولى بعد ذلك الإدارة المالية في بغداد سنة (٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، وقد تم تنصيبه (صاحب ديوان الممالك)، وعلا نجم اليهود بعد توليه هذا المنصب، وعيَّن بعض أفراد عائلته في مناصب الدولة الإدارية. بي، نن رشيدوو: سقوط بغداد حكمروايي مغولان در عراق، ميان سالهاي (٦٥٦ــ ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ــ ١٣٣٥م)، ترجمة/ أسد الله آزاد، مؤسسة چاب وانتشارات آستان، قدس رضوى، مشهد، تهران، ١٩٤٨م، ص١٩٢.

(٢) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣١١، ٣١٥.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ جامع التواريخ، مج٢، جـ٢، (تاريخ أبناء هولاكو)، ص١٣٨، ١٣٩. خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة: حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٣٦٣.

اليهودي وأتباعه من اليهود، فظهروا على مسرح الأحداث التاريخية، ولعبوا دورًا مهمًا في السياسة الإيلخانية(١).

وسرعان من تبيَّن للناس أن هذه الإجراءات التي شرع فيها سعد الدولة كانت حِبرًا على ورق، وذهبت تلك الوعود هباءً منثورًا، ولم تخرج حيز التنفيذ؛ لأنه في السنة التي بعدها مباشرة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) حجّ عددٌ كثير من بلاد العراق، ولما انطلقت قوافلهم إلى بلاد الحرمين لم يلقوا ما وُعِدوا به من أمن وأمان؛ حيث قامت الأعراب بنهبهم، الأمر الذي جعلهم يضطرون للعودة من بعض الطريق دون أن يتمكنوا من أداء فريضة الحج(٢).

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط؛ فسرعان ما غلبت على سعد الدولة طبيعته اليهودية واتفق مع أرغون خان على خطوة هي الأخطر عبر التاريخ الإيلخاني، وهي أن يحول الكعبة إلى معبد للأصنام، ويحول المسلمين وسائر الخلق من عباده الرحمن إلى عبادة الأوثان، واتخذ الخبيث خطوات جادة لتحقيق ذلك؛ فبعث بهذا المفهوم رسائل ومكاتبات إلى أتباعه من اليهود في شتى الولايات التابعة للإيلخانية، يأمرهم باستعدادهم لصناعة أعلام الضلال للتوجه بها إلى مكة(٣).

---

(١) بي. نن رشيدوو: سقوط بغداد وحكمروايي مغولان در عراق، ص١٩١. عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علّوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣١٦.

(٣) خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١٣١، ١٣٢. دستور الوزراء، ص٣٦٣. فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين "أسرة هولاكو خان"، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، قطر، ١٩٨٧م، ص١٦٩.

غير أن وفاة الإيلخان أرغون سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) هي التي حالت دون ذلك، فلم يستطع تنفيذ تلك الفكرة الخبيثة(١).

الحج في عهد السلطان غازان خان:

يعد عهد السلطان غازان بن أرغون هو العهد الإيلخاني الذهبي للإسلام؛ وذلك على إثر دخوله الإسلام، فاهتم بأمر الإسلام وشؤونه، وأصدر أوامره باحترام تعاليم الدين الإسلامي، وساعد في إعداد قوافل الحج إلى بلاد الحرمين الشريفين(٢).

ولقد نالت فريضة الحج من قِبل هذا السلطان اهتمامًا بالغًا من قِبله، فكان من أشهر سلاطين المغول الإيلخانيين الذين سهّلوا السبل لأداء هذه الفريضة، وقدم يد العون والمساعدة لكل من يرغب في أداء فريضة الحج، وقام بتخصيص مبالغ مالية كبرى لشئون الحج إلى مكة، وأوقف بعض الأوقاف للإنفاق على الحجاج وقوافلهم، وقد أدى اهتمام السلطان بطرق الحج على هذا النحو إلى ازدياد فرص المغول ورعاياهم على أداء فريضة الحج برغم الشقة وبُعْدِ المسافة(٣).

وعلى الجملة فقد تمتعت قوافل الحج العراقية في عهد غازان خان بالأمن والحماية الكافية؛ وذلك بفضل الجهود المبذولة من قبله، ومن هذه الجهود أنه عيَّن أميرًا على قدر عظيم من الكفاءة والمقدرة ليكون أميرًا للحج، يسمى "قلتغشاه"، وأرسل السلطان مع الأمير ألف فارس بضباطهم وطبولهم وأعلامهم، وكلفه بحراسة قوافل الحج والعناية بهم،

---

(١) ابن الجَزْرِي (شمس الدين محمد إبراهيم ت ٧٣٨هـ/ ١٣٨١م): تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المعروف بـ "تاريخ ابن الجزري"، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، جـ١، ص٩٦.

(٢) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، انتشارات فردوس، خيابان مجاهدين اسلام، جلد سوم، تهران، جاب هفتم، ١٩٤٩م، ص١٣٢.

(3) Henry H. Howorth: History of the Mongols, London, 1876, 111, P, 530.

وأصدر فرمانًا مضمونه: بذل مزيد من الجهود لازدهار الحج، وتكريم خدام بيت الله، كما أرسل أموالًا لحكام مكة والمدينة، ومنح الخلع لمشايخ ورؤساء القبائل العربية[١].

الحج في عهد السلطان محمد خدابنده[٢]:

ويأتي بعد ذلك عهد السلطان محمد خدابنده والذي لم يقلّ اهتمامًا بأمر الحج عن السابقين له، حيث تمتعت طرق قوافل الحج العراقية إبَّان حكمه بالأمن؛ وعمل على إراحتهم في سفرهم، كما أنه قدّم الخدمات للحرمين الشريفين، وحرص على كسب ود العشائر والقبائل العربية؛ لضمان حماية الحجاج، ومن أمثلة ذلك: أنه في سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) تعهد الأمير مهنا[٣] في رسالة للسلطان محمد خدابنده بحماية

---

(١) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٢٢٧. ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، جلد سوم، ص١٣٢. رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢٢١. شرين بياني: المغول التركيبة الدينية والسياسية، ص٣٣٠.
Howorth: History of the Mongols, 111, P, 530.

(٢) خُدابَنده: هو ابن أرغون بن أباقا، ويسمى خرابنده، وأولجايتو، وخدابنده، والأخير معناه بالفارسية (عبد الله)؛ لأن (خُدا) اسم الله عز وجل (وبَنده) غلام أو عبد، ولمَّا أسلم تَسَمَّى بـ(محمد)، فأصبح السلطان محمد خدابنده، وتوفي سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م). ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت٧٧٩هـ): رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار"، دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، جـ١، ص١٧٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٥٥، ٢٣٨.

(٣) مهنا بن عيسى: هو حسام الدين مهنا بن عيسى بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل (أمير آل فضل)، ولد بعد سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٣م)، وتولى إمرة العرب إبان عهد المنصور قلاوون، وقد غضب عليه السلطان الناصر محمد؛ لأنه ساعد في فرار بعض الأمراء إلى بلاد العراق، وأرسل في طلبه أكثر من مرة، وفي نهاية الأمر أمر بطرده من البلاد، فذهب لاجئًا إلى بلاد المغول، ولم يمكث بها إلا مدة قصيرة، ثم رجع ودخل في طاعة الناصر محمد، وتوفي سنة ←←←

الركب العراقي القاصد مكة المكرمة[١]، وقال له: "متى حميت هؤلاء [وكانوا أمراء مماليك لاجئين إلى بلاد المغول] كنت أنا في طاعتك وخفرت الركب العراقي"، وبالفعل لمَّا ذهب الأمير مهنا إلى خدابنده أكرمه غاية الإكرام، وقرر أمر الركب العراقي، وأعطاه عصاة خفارة[٢] لهم وتأمينا[٣].

ولا شك أن توافد الحجاج المغول من العراق وإيران على هذا النحو لدليل على مدى تفاعلهم مع الإسلام وحرصهم على أداء شعائره، كما أنه دفع فيهم روح الحياة الإسلامية دفعًا، فجعلهم يحسون بانتمائهم له، وضرورة تأكيد صلتهم به، وحسن علاقتهم بأهله[٤].

←←←

(٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م)، ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، جـ٤، ص٣٦٨: ٢٧٠.

(١) العمري: مسالك الأبصار، جـ٤، ص١٦٤. محمد صالح داود القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص٣٣٧.

(٢) الخفارة: بضم الخاء وفتحها وكسرها، وهي جُعل الخفير، والخفير: هو المجير، تقول خَفَرَ الرجل أي أجاره وكان له خفيرًا يمنعه. الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م): مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص١٥٩. النووي (أبو زكريا محي الدين بن شرف ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م): تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق/ شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لم تذكر سنة الطبع، جـ١، ق٢، ص٩٥.

(٣) الصَّفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق/ علي أبو زيد، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، طبع بالاشتراك مع دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، جـ٥، ص٤٦٦، ٤٦٧. محمد داود القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص٣٣٧.

(٤) رجب محمد عبد لحليم: انتشار الإسلام بين المغول، ص٢٢٢، ٢٢٣.

الحج في عهد السلطان أبي سعيد[١]:

ويأتي السلطان أبو سعيد لتمثل مدة حكمه عهدًا ذهبيًا لقوافل الحج العراقية والبلدان التي تليها إلى بلاد الحرمين، فقد اهتمَّ السلطان اهتمامًا جليًا بتلك القوافل، وسار من أول أمره على سياسة أبيه في احتضان أمراء القبائل العربية، وخاصة أمراء آل فضل الذين كانت لهم السيادة الحقيقية على البادية بين القطرين (العراق والشام)[٢].

وفي سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) إبَّان عهده، وأثناء عودة الركب العراقي من مكة، خرج الأعراب عليهم ونهبوهم، وأخذوا منهم نحو ثلاثين ألف دينار، الأمر الذي أخَّر الصلح[٣] الذي كان ينشده المغول من المماليك، غير أنه تم في سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)[٤].

واستمر سير تلك القوافل عقب هذا الصلح، وتحرك الركب العراقي آمنًا مطمئنًا في السنة التالية (٧٢١هـ/ ١٣٢١م) وفيه عدد كثير، وجماعة من أمراء المغول، ومحمل من جهة السلطان أبى سعيد، عليه غشاء مرصع بأنواع الجواهر، وكان مع أمراء الركب

---

(١) أبو سعيد: أو (بوسعيد) بن خدابنده بن أرغون بن أباقا، تولى حكم الدولة الإيلخانية وهو شاب، وذلك بعد وفاة أبيه في سنة (٧١٦ / ١٣١٦م)، وتوفي بأذربيجان سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، ودفن بتربته في مدينة السلطانية. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٢، ص١٣٧، ١٣٨.

(٢) محمد داود القزاز: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، ص٣٣٧.

(٣) سيأتي ذكره مفصلًا في المبحث القادم.

(٤) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، جـ٣، ص٢٩. صبحي عبد المنعم: سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام (٧١٦ ـ ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ـ ١٣٣٥م)، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٥٠.

العراقي سنجق[١] سلطاني ناصري، وكان المحمل العراقي وسنجق السلطان أبي سعيد خلف محمل السلطان الناصر وسنجقه، والمحمل اليمني خلف المحمل العراقي[٢].

استمر هذا الوضع الآمن على طرق الحج العراقية في السنوات التالية، ومن ذلك: أنه في سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) حجّ عدد من كبار رجال الدولة المغولية، من أقرباء السلطان أبي سعيد[٣]، ومعهم بنت أباقا خان (أخت أرغون وعمة غازان خان وخدابنده) وتسمى بالأميرة (قطلوا)، فأُكرمت، وأُجريت عليها الإقامات والنفقات إلى أن جاء ميعاد الحج، وعوملت معاملة تليق بمقامها، ولقيت أمنًا وحماية، وتصدقت تلك الأميرة في الحرمين بثلاثين ألف دينار، وكان في خدمتها عدد كبير من جند المغول، حتى انتهى الركب العراقي من أداء شعائر الحج، وعاد إلى بلاده[٤].

هذا، ومما يؤكد ذلك الاهتمام المغولي بقوافل الحج وتسييرها إلى بلاد الحرمين إبَّان حكم السلطان أبي سعيد، ما ذكره الرحالة ابن بطوطة[٥] من اهتمام بأمر الحج في

---

(١) السَّنْجَق: تعني الراية، والعلم، واللواء، والرمح، وهو مصطلح أطلق للدلالة على الراية الخاصة بالسلطان، وهي عبارة عن راية عظيمة من الحرير الأصفر، مطرزة بالذهب، عليها ألقاب السلطان واسمه، وهي من شعارات المُلك، وتسمى ـ أيضًا ـ بالعصابة السلطانية، حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص١٢٠.

(٢) النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ت٧٣٣): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، جـ٣٢، ص٣٣٣، ٣٣٤.

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٦٢٠.

(٤) الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق/ محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، جـ٤، ص٦٦. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٨، ص٢٢٦. ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٦٢٠. العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، جـ١، ص٤٨٠.

(٥) رحلة ابن بطوطة، جـ١، ص١٨٤.

البلاط الإيلخاني، وأن ابن بطوطه نفسه ناله اهتمام السلطان أثناء تواجده في البلاط، وتم تهيئة سفره إلى بلاد الحجاز، ليرافق المحمل، وتوفر له جميع ما يحتاجه في رحلته.

ويذكر ابن بطوطة[١] ما ناله من إكرام، فيقول: ".. ثم وصلنا مدينة بغداد، فوجدت الحاج في أهبة الرحيل، فقصدت أميرها معروف خواجة، فطلبت منه ما أمر لي به السلطان [أبو سعيد]، فعين لي شُقة[٢] محارة وزاد أربعة من الرجال وماءهم، وكانت المعرفة بيني وبينه متقدمة، فزادها تأكيدًا، ولم أزل في جواره، وهو يحسن إلي ويزيدني على ما أُمر به".

هذا، ويروي ابن بطوطة[٣] ما رآه من نظام ودقة في سير ركب الحج العراقي، وقيادته أثناء رجوعه سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، حيث يقول: "وفي العشرين من ذي الحجة خرجت من مكة صحبة أمير ركب العراق... ولما خرجت من مكة شرفها الله تعالى في صحبة الأمير البهلوان المذكور اكترى لي شقة محارة إلى بغداد ودفع إجارتها من ماله، وأنزلني في جواره، وخرجنا بعد طواف الوداع إلى بطن مر في جمع من العراقيين والخراسانيين والفارسيين والأعاجم، لا يحصى عددهم، تموج بهم الأرض موجًا، ويسيرون سير السحاب المتراكم فمن خرج عن الركب لحاجة ولم تكن له علامة يستدل بها على موضعه ضل عنه لكثرة الناس".

ويتبيّن مما ذكرة ابن بطوطة أن الركب العراقي يسير بنظام ودقة وقيادة، والمغول يهتمون بالإمارة على الحج، وأن الركب العراقي كان يشمل عددًا كبيرًا من أهل العراق وخراسان وما وراءهما من بلدان.

---

(١) رحلة ابن بطوطة، جـ١، ص١٨٤.

(٢) شُقة: أي عِدل، والمقصود منها نصف محمل جمل؛ ليركب فيه، حيث كان يجلس في شُقَّتِه على جانب الجمل، وصاحب الجمل يجلس في الشُّقة الأخرى. حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته "تحقيق ودراسة وتحليل" ، دار المعارف، القاهرة، مصر، لم تذكر سنة الطبع، ص٧٢.

(٣) بطوطة: المصدر السابق، جـ١، ص١٣١.

ويكمل ابن بطوطة[١]، ما رآه أثناء رجوعه رفقة الركب العراقي من حج سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، فيقول: " ثم رحلنا منه إلى وادي الكروش ولا ماء به، ثم أسرينا ليلاً وصحبنا بحصن فَيْد، وهو حصن كبير في بسيط من الأرض يدور به سور وعليه ربض، وساكنوه عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة، وهنالك يترك الحجاج بعض أزوادهم عند وصولهم من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى، فإذا عادوا وجدوه، وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد ومنه إلى الكوفة".

كما ذكر ابن بطوطة[٢] كيفية التعامل مع الأعراب في طريقهم، فيقول: "ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضع على تعبئة وأهبة للحرب؛ إرهاباً للعرب المجتمعين هنالك، وقطعاً لأطماعهم عن الركب"، ثم يشير إلى أنه لقى من أمراء العرب من أبناء مهنا بن عيسى، ومعهم عدد من الخيل والرجال، مهمتهم حراسة الركب العراقي وأمتعتهم.

واستمر الاهتمام من السلطان أبي سعيد بأمر الحج العراقي حتى آخر سنوات حكمه، ففي سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) قبل وفاته بسنة واحدة أمر بمسير الركب العراقي إلى مكة، فحج الركب وسلم ولم يتعرض له أحد؛ فقد أمَّر السلطان عليه أميرًا شجاعًا، فلم يتمكن أحد من العربان أخذ شيء، غير أنه في السنة التالية خرجت العربان على الركب ونهبوه، وأخذوا منه شيئًا كثيرًا، فلما عادوا شكوا إليه، فقال: "هؤلاء في مملكتنا أو في مملكة الناصر؟ فقالوا: لا في مملكة الناصر ولا مملكتك، إنما هؤلاء في البرية، لا يحكم عليهم أحد، يعيشون بقائم سيفهم ممَّن يمر عليهم، فقال: هؤلاء فقراء، كم مقدار ما يأخذون من الركب نحن نكون نحمله إليهم من بيت المال مِنْ عندنا كل سنة، ولا ندعهم يأخذون من الرعايا شيئًا، فقالوا له: يأخذون منهم ثلاثين ألف دينار، ليراها كبيرة

(١) رحلة ابن بطوطة، جـ١، ص١٣٣.

(٢) المصدر السابق، جـ١، ص١٣٣.

فيبطلها، فقال: هذا القدر ما يكفُّهم ولا يَكْفيهم، اجعلوها كلَّ سنة ستين ألف دينار، وتكون تحمل صحبة مسفّر من بيت المال من عندنا مع الركب، فمات من سنته"[١].

كما أشاد ابن بطوطة[٢] بالخدمات المقدمة لركب الحجاج العراقي أثناء طريقهم، حيث يقول: "وفي هذا الركب نواضح كثيرة لأبناء السبيل يستقون منها الماء، وجمال لرفع الماء للصدقة، ورفع الأدوية والأشربة والسكر لمن يصيبه مرض، وإذا نزل الركب طُبخ الطعام في قدور نحاس عظيمة تسمى الدسوت وأُطعم منها أبناء السبيل، ومن لا زاد معه وفي الركب جملة من الجمال يحمل عليها من لا قدرة له على المشي كل ذلك من صدقات السلطان أبي سعيد ومكارمه".

وهكذا استمر سير الركب العراقي إلى بلاد الحرمين آمنًا مطمئنًا، حتى وفاة أبي سعيد سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، ثم بعد أن تولى الحكم في تلك البلاد أمراء متغلبون؛ تأثرت الحالة الأمنية لقوافل الحج العراقية؛ حيث انقطع سبيلها سنوات عدة، ولم يعد يحج من هذا الطريق أحد من العراق، ومن أراد منهم الحج؛ فعليه الذهاب عن طريق دمشق، في صحبة الركب الشامي[٣].

هذا، وتجدر الإشارة إلى أن أمن القوافل وقلقها إبان الحكم المغولي كان مرهونًا بالعلاقة مع القبائل البدوية، والتي كانت من طبيعتها التنقل وقطع الطريق، والاعتداء على قوافل الحجاج والتجار وغاراتها على المدن[٤].

---

(١) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، جـ٢، ص٧٠. للمزيد ينظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ١، ص٥٠١.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ١، ص١٣١، ١٣٢.

(٣) العمري: مسالك الأبصار، جـ٢، ص٣٤٧.

(٤) جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين الفتح، الإدارة، الأحوال الاقتصادية، الأحوال الاجتماعية، مطبعة العاني، بغداد، العراق، الطبعة الأولى ١٩٦٨م، ص١٧٢.

فعلى سبيل المثال: كانت قبيلة خفاجة مصدرًا للقلق والإزعاج في منطقة الكوفة، وطريق الحج إلى الحجاز، وكثيرًا ما اعتدت على قوافل الحجاج، وقد تعرضت طريق الحج لخطر القبائل الأخرى التي كانت تغير على قوافل الحجاج(١).

وقد ذكر ابن بطوطه(٢) أهمية هذه القبيلة وخطورتها، وأن المارّ بتلك الأقطار لابد من حصوله على موافقتهم بالمرور، أو على الأقل مرافقتهم، ومما يؤكد ذلك قوله: "ولما تحصلت لنا زيارة أمير المؤمنين علي –عليه السلام– سافر الركب إلى بغداد، وسافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة، وهم أهل تلك البلاد ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم".

وعلى كلٍ فقد لقيت معظم رحلات الحج العراقي إبَّان الحكم الإيلخاني الأمن والأمان، سواء أكانت تلك الرحلات في طريقها ومسالكها، أم كانت في بلاد الحرمين نفسها، اللهم إلا بعض الأحداث التي حدثت، وهي في الحقيقة حالات فردية، وحدوثها غالبًا كان في أواخر الحكم الإيلخاني، منها على سبيل المثال:

(أ) الصراع بين الأمير حميضة(٣) وإخوته:

وبدأت تلك الصراعات حينما فر الأمير حميضة (أمير مكة) من بلاده، ولجأ إلى بلاد المغول، سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)؛ خوفًا من أن يقع في قبضة السلطان المملوكي

---

(١) رحلة ابن جبير، ص١٦٨. عبده على ياسين: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر، ١٩٨٧م، ص٤٠٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة، جـ١، ص١٣٩.

(٣) حُمَيْضَة بن أبي نُمي: هو الشريف عز الدين محمد أبي سعد حسن، المكي الحسني، (أمير مكة)، تولى الإمارة في مكة المكرمة مدة كبرى تقدر بإحدى وعشرين سنة ونصفًا، وكان ذلك خلال أربع مرات، إلى أن قتل سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م). ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، جـ١، ص٢٧٩.

الناصر محمد بن قلاوون، وذلك على أثر الخلاف الذي وقع بينه وبين إخوته: رميثة[١]، وأبي الغيث[٢] على حكم مكة. ومع دعم الناصر لأحدهما وهو أبو الغيث؛ قطع حميضة الخطبة له، ودعا لحاكم اليمن (داود بن يوسف الرسولي)، فأرسل الناصر محمد جيشًا لتأديبه، ففر حميضة إلى العراق، ومنها إلى السلطان الإيلخاني محمد خدابنده، فتلقاه بكل حفاوة، وبالغ في إكرامه، وأجرى له الرواتب، ووعده باسترداد إمارة مكة بجيش مغولي يرافقه؛ على أن يقيم له الخطبة بالحجاز، فأرسل معه أَرْبَعَة آلَاف فارس، وكان الاتفاق على أن يعود ذلك الجيش بعد الانتهاء من مهمته، ويترك ألف فارس للإقامة في بلاد الحجاز، ولكن حدث ما غير المسار المتَّفَق عليه؛ إذ يذكر: أنه أثناء رجوعه من العراق توفى خدابنده، واعترض طريقه عرب آل مهنا، ففر حميضة، وقتلوا عددًا من الفرقة المغولية، وأسروا منهم أربعمائة، وغنموا ما معهم، وبعثوا للسلطان الناصر يبشرونه بذلك[٣].

---

(١) رميثة بن أبي نمي: هو أسد الدين أبو عرادة، ولي إمرة مكة مع أخيه حميضة، ثم استقل بها سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م)، ثم قبض عليه سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، فهرب بعد أربعة أشهر فأمسكه شيخ عرب آل حريث، فسجن إلى تم الإفراج عنه في سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)، وردّه إلى مكة، وفي سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م) تنازع مع أخيه عطيفة وكثر ضرر الناس منهما، وتوفي رميثة سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٢، ص١١١، ١١٢.

(٢) أبو الغيث بن أبي نمي: أخو حميضة ــ السابق ذكره ــ، ولي إمرة مكة، ووقع بينه وبين أخيه حميضة خلافات كثيرة، والتي قتل على أثرها سنة (٧١٥هـ/ ١٣١٥م). ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، جـ٣، ص٢١٨، ٢١٩.

(٣) المقريزي: المُقَفَّى الكبير، تحقيق/ محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، جـ٣، ص٦٨٨، ٦٨٩. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، ص٥٠٥. ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، جـ٢، ص٧٨: ٨١.

ولا شك أن هذا الحدث أثر بدوره على الحالة الأمنية لركب الحج العراقي، سواء أكان ذلك في طريقهم، أم في بلاد الحرمين نفسها.

(ب) حادث الفيل:

ومضمون هذا الحادث أنه لما وصل الركب العراقي إلى مكة المكرمة سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، كان معهم فيل صغير يحمل محملهم، وقد وقفوا به المواقف كلها، إلا أن الناس تشاءموا منه ـ وتذكروا حادث الفيل قبل مولد النبي ﷺ ـ فوقع بين أهل مكة والمصريين فتنة كبيرة قُتل على أثرها جماعة، ونُهب من الحجاج شيء كثير، فلما أنهوا المناسك في مكة وذهبوا إلى المدينة المنورة، ووصلوا بالفيل المذكور قريبًا منها؛ جعل الفيل كلما أراد أن يقدم رِجلًا تأخر مرة بعد مرة، فضربوه وطرحوه، فأبى إلا الرجوع إلى أن سقط على الأرض ميتًا، وعلى الرغم من ذلك لم يُعرف مقصد السلطان أبي سعيد في بعثه الفيل إلى مكة(١).

(جـ) مقتل الأمير ياسور المغولي:

وكان هذا الحادث سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)، إذ وصل خبر إلى الأبواب السلطانية(٢)، مضمونه أن أحد أمراء المغول ويسمى ياسور (وينتمى للأسرة المالكة)، تم

---

(١) ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبَنِيه، تحقيق/ محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م، جـ٢، ص٢٠٧. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، ص١٣٤، ١٣٥. ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق/ محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م. جـ١، ق١، ص٤٦٢.

(٢) الأبواب السلطانية: وأطلق عليها ـ أيضًا ـ الأبواب الشريفة، وهو لقب كان يطلق على السلاطين في مصر إبان عصر المماليك، وقد اقتصر استعماله على الكتب والمراسلات. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، ص١٢٢.

قتله في مكة أثناء رمي الجمرات، وسبب قتله اتصاله وعلاقته بالأمير جوبان[١]، فلما تمكن السلطان من القضاء على الأمير جوبان سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م) أخذ أبو سعيد حذره من الأمير ياسور، وبيَّت النية للقضاء عليه، وانتهز فرصة رغبته في أداء فريضة الحج فأذن له، وهيأه، وفكر في حيلة للقضاء عليه هناك في مكة، فأرسل إلى السلطان المملوكي الناصر محمد يعرفهُ بِأَمْر ياسور، وخطورة اجتماع المغول حوله مما يزعزع سلطانه، وفي الوقت نفسه يطلب منه قتله، فعلى الفور وافق السلطان المملوكي على ذلك، ودبَّر للأمير من يقتله، وعلى الرغم من اعتراض شريف مكة (الأمير رميثة) على ذلك معتذرًا بسوء عاقبة ذلك؛ إلا أن الخطة نُفذت عن طريق أحد العربان بعد الانتهاء من الوقوف بعرفة، فاضطرب على أثر ذلك حجاج العراق وركبت فرسانهم وأخذوا ياسور قَتِيلًا فِي دمائه وَسَارُوا إِلَى برسبغا (أمير الحج المصري هذا العام) منكرين مَا حل بصاحبهم، فتبرأ من ذلك، وتعلل باحتمالية وجود ثأر عليه، أو بيد أحد غرمائه، فانصرفوا وفي نفوسهم منه شيء، وما زالوا له بالمرصاد وهو منهم محترز حتى افترق ركب الْحَاج العراقيين عن المصريين بالمدينة، فأمن برسبغا على نفسه، ثم وصلت البشارة بقلته إلى السلطان المملوكي[٢].

وهكذا يتضح مما سبق أن: المغول حرصوا على إعادة سير الركب العراقي إلى بلاد الحرمين مرة ثانية بعد استقرار دولتهم، ووفروا له الأمن والحماية، وذلك بطرق عدة،

---

(١) جوبان: نائب السلطان أبي سعيد، تمكَّن من السيطرة على أمور المملكة، وأطاح بعدد كبير من أمراء المغول، وكان صحيح الإسلام كثير النصح للمسلمين. العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ١، ص٥٤١.

(٢) ابن حبيب: تذكرة النبيه، جـ٢، ص١٨١. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، ص١٧٤. البدليسي (شرف خان بن شمس الدين توفي بعد سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م): شرفنامه، ترجمة: محمد على عوني، دار الزمان، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م، جـ٢، ص٣١.

منها: محاولة كسب الأعراب والقبائل المقيمة على تلك الطرق، وبذلهم للأعراب واللصوص ما يسكتهم من الأموال والمنح وغيرها، أو عقد اتفاقيات مع البطون العربية لشراء ودّها، وأخذ رهائن منها.

كما اتضح مما سبق أيضًا أن: المغول خصصوا حراسات معينة، منوط بها حماية وحراسة الركب العراقي، وعيَّنوا على رأسها قادة على قدر كبير من الكفاءة.

المبحث الرابع: أثر العلاقات المغولية المملوكية على الحج العراقي

لا شك أن العلاقات الدولية المغولية المملوكية على الصعيدين (السياسي والعسكري) لها تأثير في المقام الأول على حركة وتسيير قوافل الحج من بلاد العراق إلى بلاد الحرمين الشريفين؛ سواء أكانت تلك العلاقات سلمًا أم حربًا، فالحجاز كان تحت حكم المماليك، لذا كان سفر المسلمين الواقعين تحت حكم المغول إلى مكة ممنوعًا، وكثيرًا ما كانت إيلخانية فارس تحذر رعاياها من التوجه إلى الديار المقدسة للحج حال نشوب الحروب مع المماليك، لا سيما وأن قوافل الحج المملوكية تقصد هي الأخرى مكة كل عام(١).

لذا حاول الإيلخانيون بكل الطرق إيجاد حلّ، حتى تسير قوافلهم بكل أمن وأمان، فاهتموا بتحسين علاقاتهم مع المماليك، وعقدوا المعادات والاتفاقيات، حتى ينهوا تلك المشكلة(٢).

ومن تلك العهود عهد السلطان أحمد تكودار، الذي اهتم بتحسين العلاقات بين دولته وبين دولة المماليك في مصر والشام، ومن ذلك: أنه أرسل رسالة إلى السلطان المنصور قلاوون يقول فيها: "وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين، من المشاهد، والمساجد، والمدارس، وعمارة بقاع البر، والربط الدوارس ... وأمرنا بتعظيم أمر الحاجّ، وتجهيز وفدها، وتأمين سبلها، وتسيير قوافلها، وإنا أطلقنا سبيل التجار المترددين إلى تلك البلاد، ليسافروا بحسب اختيارهم، على أحسن قواعدهم"(٣).

---

(١) إسماعيل عبد الرحمن الدورابي: إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي والحضاري في قارتي آسيا وأوروبا (٦٥٣ـ ١٢٧٤هـ/ ١٢٥٦ـ ١٨٥٧م): رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠١٢م، ص١٣٠.

(٢) عبد الرسول خير أنديش: أزمة الحضارة الإسلامية في عصر المغول، ص٣١.

(٣) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص٢٢١.

تلقى السلطان المنصور الرسالة بكل سعة، وقابلها بكل ترحاب، وأجابا عليها جوابًا حسنًا، يتضمن تهنئته بالإسلام، وموافقته على طلب الصلح، وأعاد رسله مكرّمين(١).

كذلك اهتم السلطان محمد خدابنده بتحسين العلاقات بينه وبين المماليك في مصر والشام سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)، لتهدئة الأوضاع بين البلدين، وخاطب السلطانُ الإيلخاني نظيره المملوكي بالإخوة، وطلب عقد صلح بين البلدين تكون مدته خمسين عامًا، ولا يرضى بأقل من اثنتي عشرة سنة، لكي تعمر البلاد، وعلى الرغم من عدم إتمام الصلح؛ إلا أن المراسلات بين البلدين لم تنقطع، مما نتج عنها تهدئة الأوضاع بين الجانبين، الأمر الذي ترتب عليه أمن الركب العراقي مدة، دون أن يتعرض له أحد(٢).

واستمر هذا الوضع حتى كان عهد السلطان أبي سعيد وأثناء عودة الركب العراقي من مكة سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) خرج الأعراب عليهم ونهبوهم وأخذوا منهم نحو ثلاثين ألف دينار، ولا شك أن هذه الحوادث أسهمت في عرقلة مفاوضات الصلح التي أرادها المغول والمماليك وأدت إلى تأخيرها، لكن الناصر محمد تمكن برجاحة عقله من التغلب على تلك العقبات(٣)، وفعل فعلًا طيبًا كان سببًا في عقد الصلح، وهو أنه أثناء حجه في العام نفسه، وحينما كان متواجدًا بمكة بلغه أنه جماعة من حجاج المغول قد اختفوا خوفًا منه، فأحضرهم وأنعم عليهم، وبالغ في إكرامهم(٤).

---

(١) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣١، ص٩٠.

(٢) ابن أيبك الدَّوادَاري (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م): الدُّر الفاخر في سِيرة الملك الناصر (الجزء التاسع من كنز الدرر)، تحقيق/ هانس روبرت رويمر، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م، جـ٩، ص١٢٧. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، ص٣٧٣.

(٣) صبحي عبد المنعم: سياسة المغول الإيلخانيين، ص٥٠.

(٤) المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق/ جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١٣٣. السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، ص١٨. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، جـ١، ص٤٦٢.

والحقيقة أن هذا الفعل يدل على أن الدولة المملوكية كانت حريصة كل الحرص على مراعاة شعور حجاج المغول في بيت الله الحرام، ولم تُقدِم على إيذائهم، أو ترويعهم، رغم مسلسل العداء الطويل الذي كان قائمًا بينهم.

وعلى أثر هذا، وبطلب من أبي سعيد تم عقد الصلح المشهور بين الإيلخانيين والمماليك سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)؛ إذ جمع الناصر محمد كبار الأمراء واستشارهم في ذلك، وقرأ عليهم الكتاب، فاتفق الرأي على إمضاء الصلح، وكانت أهم شروطه ما يلي: ".. ألا تدخل الفداوية[١] إليهم [إلى المغول]، وأن من حضر من مصر إليهم لا يُطلب، ومن حضر منهم إلى مصر لا يعود إلا برضاه، وألا يبعث [السلطان المملوكي] عليهم بغارة من عرب ولا تركمان، وأن تكون الطريق بين المملكتين مفسوحة؛ تسير تجار كل مملكة إلى الأخرى، وأن يسير الركب من العراق إلى الحجاز في كل عام بمحمل ومعه سنجق فيه اسم صاحب مصر مع سنجق أبي سعيد؛ ليتجمل بالسنجق السلطاني"[٢].

وقد آتت بنودُ الصلح ثمارها، فبعد إتمامه؛ كتب السلطانُ أبو سعيد يسأل السلطانَ المملوكي الناصر محمد فتح طريق الركب العراقي، فأرسل الناصر على الفور إلى أمراء القبائل، وسائر العربان، يأمرهم بفتح الطريق، وتسهيل سبيل الحجاج العراقيين من بغداد إلى مكة، وحمايتهم، والسير معهم، من الكوفة إلى مكة، ثم من مكة إلى الكوفة، وأن يتكفلوا بخفارتهم في الطرقات والمنازل، وكف الأيدي المعتدية عنهم[٣].

---

(١) الفداوية: هم جماعة من الحشاشين من طائفة الشيعة الإسماعيلية، يُعهد لأحد أفرادها باغتيال شخص ما، فإن قتله قام بمهمته، وإن لم يقتله قتل نفسه، وجدت في زمن الدولة الأيوبية، ثم وضعت هذه الطائفة نفسها تحت تصرف سلاطين مماليك، فكانوا يوكلون إليها المهام السرية المتنوعة. حسان حلاق، عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، ص١٦١.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، ص٢٩.

(٣) العمري: مسالك الأبصار، جـ٢، ص٣٤٧.

وعلى أثر ذلك نادى أبو سعيد في مملكته سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) بالحج، فتجهز جمع عظيم، وفي تلك الأثناء بلغ السلطان المملوكي أن سليمان بن مهنا[١] ومعه بعض إخوته كَثُر فسادُهم، وقطعوا الطريق، فخاف الناصر على الراكب العراقي ـ بموجب الصلح السابق ذكره ـ من عرب مهنا، فاستدعى ابن عم لهم ـ وهو الأمير سيف بن فضل ـ وقرر معه أن يمنع مهنا وأولاده من التعرض لركب الحج العراقي، فقام سيف بذلك على أكمل وجه[٢].

وكانت عادة الركب العراقي أنه إذا مرَّ على منازل العربان أُخذوا منهم خفرًا، وهو عبارة عن جملة من الأموال، فلما وصل الركب، ومروا في طريقهم بعرب البحرين؛ خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم وأخذ ما معهم، فدفع الوفد لهم ألفًا وخمسمائة دينار، فاعترض العربان، ومنعوهم من العبور اعتراضًا على المبلغ، وأصرّوا على أن يأخذوا ثلاثة آلاف دينار، حينها ذكر المسؤولون عن ركب الحجاج: أنهم إنما ساروا بأمر السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وأظهروا كتابه إليهم، فمكَّنوهم من الجواز والعبور؛ وأعادوا عليهم الذهب، وقالوا لهم: "إذا كنتم جئتهم بأمر السلطان [المملوكي] فلا نأخذ منكم خفرًا"، فلما عرف الناصر ذلك؛ أحسن إلى تلك الطائفة من العربان[٣].

وكان من عادة السلاطين المماليك أن يجندوا البدو لحماية القوافل عبر الصحراء، وأن يضبطوا الأمن على طرقات البريد والحج والتجارة، وكانوا يتقاضون إتاوات من

---

(١) سليمان بن مهنا: تولى إمرة العرب وباشرها مدة من الوقت، ولقب بـ"علم الدين"، اتصف بالشجاعة والجود والكرم، وكان ممن فرَّ إلى بلاد المغول، واستمر بها مدة، ولما رجع دخل في طاعة السلطان المملوكي سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م). الصفدي: أعيان العصر، جـ٢، ص٤٥٥. مجهول: المنتقى من درة الأسلاك للحسن بن حبيب الحلبي، تحقيق/ عبد الجبار زكّار، دار الملاح، حلب، سوريا، الطبعة الأولي، ١٩٩٩م، ص٢٠٠.

(٢) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، ص٣١.

(٣) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣٢، ص٣٣٤.

التجار، أو رواتب من الدولة، لقاء هذه الخدمات[١]، كما بنوا الخانات والفنادق خدمة للمسافرين، وأشاعوا الأمن والاطمئنان فيها، فتمكنت القوافل من التنقل بحرية وأمان، في الدروب والمسالك المختلفة[٢].

واستمر سير الركب العراقي آمنًا مطمئنًا، حتى وفاة أبي سعيد سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، ثم أصحبت السيطرة والحكم في تلك البلاد بيد أمراء متغلبين؛ ومن ثَم تأثرت الحالة الأمنية لقوافل الحج العراقية؛ حيث انقطع سبيلها عدة سنوات، ولم يعد يحج من هذا الطريق أحد من العراق، وكان من أراد منهم الحج؛ فعليه الذهاب عن طريق دمشق، في صحبة الركب الشامي[٣].

وهكذا تبيَّن مما سبق: أن حُسْن العلاقات بين الدولتين كان له أثرٌ طيبٌ على سير تلك القوافل، دون أن يعترضها أو يؤذيها أحد، وتمكن المغول من أداء هذه الفريضة بكل أمن وأمان، ووصل الأمر إلى أن ذُكر اسم السلطان أبي سعيد في الخطبة بعد ذكر السلطان الناصر محمد على منابر مكة، وتم الدعاء له بأعلى قبة زمزم[٤].

---

(١) إيرا لابدوس: مدن إسلامية في عهد المماليك، ترجمة: علي ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ص٢٠٨.

(٢) يوسف درويش غوانمة: التجارة الدولية في مناطق شرق الأردن من جنوب الشام في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، سوريا، مج٧، العدد (٢٣، ٢٤)، سنة، ١٩٨٦م، ص٨٨.

(٣) العمري: مسالك الأبصار، جـ٢، ص٣٤٧.

(٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ١، ص١٨٥.

المبحث الخامس: أعمال الإيلخانات الخيرية في بلاد الحرمين

لم يكن تأمين قوافل الحج العراقية وتسييرها إلى بلاد الحرمين هو كل ما يشغل بال إيلخانات فارس؛ بل وصل الأمر إلى حد اهتمامهم بالأعمال الخيرية في بلاد الحرمين، شأنهم شأن غيرهم من الملوك والأمراء الذين خلدوا ذكراهم بتلك الأعمال الطيبة.

وكان السلطان أحمد تكودار أول هؤلاء السلاطين الإيلخانيين؛ حيث بذل جهودًا طيبة لجمع الأموال، وتخصيصها ووقفها، ومن ثم إرسالها إلى بلاد الحرمين الشريفين(١).

وفي عهد السلطان غازان زاد الاهتمام المغولي بذلك، حيث بذل جهودًا كبيرَة لخدمة بلاد الحرمين الشريفين، فخصص الاعتمادات المالية الكبيرة لشئون الحج في مكة، وأصدر مرسومًا في سنة (٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م) فرض فيه للسادة والأئمة وخدام الكعبة حقوقهم، وكذلك أرسل كسوة للكعبة مطرزة بجميع ألقاب الإيلخان ومحْمَلًا ملكيًا(٢).

كما أغدق السلطان غازان الذهب على مشايخ القبائل العربية في مكة والمدينة المنورة، وكان لا يتردد في إرسال الأموال لبلاد الحرمين، ويستجيب على الفور لطلب أية مبالغ للتعمير في مكة والمدينة، دون ممانعة أو مناقشة بل كان يرسل بالزيادة حتى أضحى من أكثر السلاطين جودًا وإنفاقًا في سبيل الله(٣).

وفي عهد السلطان أبي سعيد أيضًا كثرت خدماته لبيت الله الحرام، وكذلك الأموال والنفقات التي كان يرسلها إلى مكة والمدينة، ويشير ابن بطوطة(٤) إلى تلك الأموال

---

(١) خواندمير: حبيب السير، جلد سوم، ص١١٩.

(2) Howorth: History of the Mongols, 111, P, 530.

(٣) الهمذاني: جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ص٢٢٧. رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، ص٢٢١. شرين بياني: المغول التركيبة الدينية، ص٣٣٠.

(٤) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ١، ص١٨٥.

والصدقات وذلك في سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، حيث يقول: " ولما انقضى الحج أقمت مجاورًا بمكة حرسها الله سنة تسع وعشرين. وفي هذه السنة وصل أحمد بن الأمير رميثة، ومبارك بن الأمير عطيفة من العراق صحبه الأمير محمد الحويج والشيخ زاده الحرباوي والشيخ دانيال وأتوا بصدقات عظيمة للمجاورين وأهل مكة من قبل السلطان أبي سعيد ملك العراق"(١).

ولم تكن الأعمال الخيرية في بلاد الحرمين الشريفين مقتصرة على الإيلخانات والسلاطين فقط، بل قام ببعض تلك الأعمال كبار رجال الدولة من الأمراء، فضلًا عن أفراد الركب العراقي نفسه، وعن ذلك يقول ابن بطوطة: "وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري أربعة أيام، فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم، ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلاً فمن لقوه في الحرم من المجاورين أو المكيين أعطوه الفضة والثياب، وكذلك يعطون للمشاهدين للكعبة الشريفة، وربما وجدوا إنسانًا نائمًا فجعلوا في فيه الذهب والفضة حتى يفيق، ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فعلوا من ذلك كثيرًا، وأكثروا الصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة، وانتهى صرف المثقال إلى ثمانية عشر درهما نقرة لكثرة ما تصدقوا به من الذهب، وفي السنة هذه ذكروا اسم السلطان أبي السعيد ملك العراق على المنبر وقبة زمزم"(٢).

إجراء عين بازان بمكة المكرمة سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥):

ومن الأعمال الخيرية التي قام بها الإيلخانيون في بلاد الحرمين الشريفين، هو حرصهم على توفير المياه اللّازمة للحجاج ولأهل مكة، ومن ذلك ما قام به الأمير جوبان بإجراء عين بازان، وذلك بعد أن دلّه بعض الناس على عين كَانَت تجْرِي فِي الْقَدِيم، ثمَّ تعطّلت ولم يعد ينتفع الناس بها، فشقّ الأمر على الناس في الحصول على الماء، حتى

(١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، جـ١، ص١٨٥.

(٢) المصدر السابق، جـ١، ص١٣١.

بيعت الرَّاوية[١] بعشرة دراهم[٢] في الموسم، وفي غير الموسم كانت تباع بستة إلى سبعة[٣].

وذُكر أن السّبب في إجراء هذه العين: أنّه لمّا تكاثر سفر الحجّ العراقيّ، ورأوا ندرة الماء وغلاءه، وعرف أهل العراق عن طريق أهل مكة -بعد أن سألوا- أن بها عيونًا جارية، ولو قام واحد من أهل الخير، وأنفق مالًا لوجه الله، وأجرى هذه الأعين إلى مكة؛ لكان الناس ينتفعون به كثيرًا، فأبلغوا ذلك للأمير جوبان، وعلى الفور عيَّن شخصًا يثق به، وسيَّر معه خمسين ألف دينار، وأوصاه بالسفر صحبة ركب الحج العراقي، وذلك سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) وأن يقيم بها حتى يجتهد في إجراء الماء من تلك الأعين المسدودة[٤].

فلما وصل إلى مكة وقضى مناسك الحج ورحل الركب العراقي، ظلّ هو مقيمًا هناك، ثم سأل أهلَ مكة عن أي عين أقرب وأقوى ماءً؟ فعرَّفوه أن ثمة عينًا قريبة من جبل عرفات، ولها ماء كثير، فتوجه إليها وشاهدها، ونادى في أهل مكة: من أراد العمل في العين فله كل يوم ثلاثة دراهم، فلبى هذا الأمر كثيرون، من صعاليك أهل مكة حتى

---

(١) الرَّاوية: هو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، والرجل المُسْتَقِي أيضًا راوية. ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم المصري ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، (مادة روى)، جـ٣٠، ص١٧٨٤.

(٢) وتذكر بعض المصادر أنها كانت تباع بعشرين درهمًا. الغياثي (عبد الله بن فتح الله البغدادي توفي آخر القرن التاسع الهجري): تاريخ الدول الإسلامية في الشرق "آسيا الوسطى، إيران، العراق، بلاد الأناضول، بلاد الشام"، تحقيق/ طارق نافع الحمداني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص٦٥.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، ص٩٠.

(٤) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣٣، ٢٠٩. الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، جـ٢، ١٦٩. المقريزي: المصدر السابق، جـ٣، ص٩٠.

النساء، وَخرج بهم إلى العمل فَلم يشق على أحد منهم وَلَا استحثه، وإنما كانوا يعملون باختيارهم، واستمر العمل بها قرابة أربعة أشهر، فنظفت العيون القديمة، وقطع التراب الذى كان يمنع جريان الماء، إلى أن أُجْرِى الماءُ من العين حتى دخل مكة، بين الصفا والمروة وبباب إبراهيم، والأبطح[١]، فانتفعوا به انتفاعًا كثيرًا، وزاد الماء لدرجة أن أهل مكة صرفوه إلى مزارع الخضراوات، وسميت العين باسم الرجل الذي تولى أمرها، وكان رجلًا أعجميًا واسمه "بازان"[٢].

وهكذا استطاع الأمير جوبان أن يوفر الماء لحجاج بيت الله الحرام ولأهل مكة، فبعد أن كان يُشترى بأثمان باهظة؛ أصبح متوفرًا دون ثمن، وإن كان فالثمن لأجرة النقل فقط[٣].

ومن الجدير بالذكر أن السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون كان قد عزم على إجراء تلك العين، فصرفه عن ذلك بعض المستشارين، وقالوا له: "إن هذا متعذر الإمكان" فلما أجريت تألّم السلطان من كون هذه الحسنة العظيمة لم تجر على يديه[٤].

---

(١) الأبطح: هو كل مسيل فيه دقاق الحصى، وهو الرمل المنبسط على وجه الأرض، وهو مكان يضاف إلى مكة وإلى منى، وهو إلى منى أقرب. الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٧٤.

(٢) اليوسفي (عماد الدين موسى بن محمد بن يحيي ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م): نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق/ أحمد حَطيْط، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص٤٣٣. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، ص٩٠. السمرقندي (عبد الرازق بن إسحاق ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م): مطلع السعدين ومجمع البحرين، ترجمة ودراسة القسم الأول من الجزء الأول في رسالة ماجستير (غير منشورة)، للباحث/ أحمد رياض عز العرب، كلية الآداب، جامعة سوهاج، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٧م، ص٢٤٢.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ١١، ص١٦٩، ١٧٠.

(٤) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣٣، ص٢٠٩، ٢١١.

واهتم الأمير جوبان ـ أيضًا ـ ببعض الأعمال الخيرية الأخرى في بلاد الحرمين، وقد أرسل للمماليك في مصر يريد شراء ضيعة خربة من ضيَاع مصر ليعمرها، ويجعل وقفها للحرم، فأجيب إلى طلب رَسُوله بأنه يسير إليه مكاتيب ضيعة بعد ذلك، هذا فضلًا عما قام به من آثار خير كثيرة، كبعض العمائر، ومنها أنه أنشأ مدرسة (المدرسة الجوبانية) بالمدينة النبوية بجوار المسجد النبوي(١).

وهكذا يتبين مما سبق: أن المغول الإيلخانيين بعدما اهتموا بأمر الركب العراقي وتسييره وتوفير كل سبل الدعم والراحة والأمن له؛ قاموا ـ كغيرهم من سلاطين الإسلام ـ ببعض الأعمال الخيرية في بلاد الحرمين الشريفين، كبعض الأبنية التعليمية، وتوفير الماء للحجاج في مكة، هذا فضلًا عن إرسالهم الكثير من النفقات والهدايا والأعطيات والأوقاف لخدام الكعبة، ولمشايخ مكة.

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ١١، ص١٦٩. حافظ أبرو (لطف الله بن عبد الله الهروي ت٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م): ذيل جامع التواريخ رشيدي لحافظ آبرو، ترجمة: محمد عبد الله عبد السلام، في رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية وآدابها، جامعة المنوفية، جمهورية مصر العربية، ٢٠١٠م. ص١٥٧. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣، ص٤٦. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ١، ص٥٤١.

الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه عن "قوافل الحج العراقية إلى بلاد الحرمين الشريفين إبَّان الحكم الإيلخاني" تبيَّن أن المغول الإيلخانيين اهتموا بتلك القوافل وتسييرها، وقد أسفر البحث عن عدة نتائج، وتوصيات:

أولًا: النتائج:

ـ أثبت البحث أن طريق الركب العراقي إلى بلاد الحرمين الشريفين هو أحد الدروب الرئيسة المؤدية إلى مكة المكرمة، وأن هذا الطريق ينقسم إلى قسمين: طريق الكوفة مكة وهذا له أهميه عن الثاني وهو وطريق البصرة مكة، وأن هذين الطريقين لا يقتصران على حجاج العراق وحدها، بل وما وراءها من بلدان.

ـ كما أثبت البحث أنه لم يرد ذكر لقوافل حج قادمة من بلاد الصين، وبلاد ما وراء النهر، في العهود الأولى للدولة المغولية، كما أن المصادر لم تشر من قريب ولا بعيد إلى سير وانتظام قوافل الحج القادمة من دولة مغول القفجاق (فرع القبيلة الذهبية) إلى بلاد الحرمين الشريفين؛ وإن كانت؛ فهي حالات فردية عددها قليل، وبوصاية من خاناتها، وعن طريق مصر رفقة الحج المملوكي، وأن أغلب قوافل الحج التي ورد ذكرها كانت تخرج من بلاد العراق وما وراءها من بلدان.

ـ تبين من خلال البحث أن المغول اهتموا بتوفير الأمن والحماية لقوافلهم المتجهة إلى بيت الله الحرام، وذلك بطرق عدة، منها: محاولة كسب ود القبائل والأعراب المقيمين على تلك الطرق، وبذلهم للأعراب واللصوص ما يسكتهم من الأموال والمنح وغيرها، أو عقد اتفاقيات مع البطون العربية لشراء ودها، وأخذ رهائن منها.

ـ كما تبين من خلال البحث أن المغول قاموا بتجنيد قوات عسكرية مخصصة لحراسة تلك القوافل في طريقها، وعيَّن المغول على رأسها قادة على قدر كبير من الكفاءة.

ـ تم التوصل من خلال البحث إلى أن رحلات الحج العراقية إلى بلاد الحرمين الشريفين تأثّرت تأثّرًا مباشرًا بالعلاقات المغولية المملوكية السياسية منها والعسكرية، سواء أكانت تلك العلاقات سلمية أم حربية، الأمر الذي دفع المغول إلى عقد معاهدات الصلح وإبرام الاتفاقيات لضمان سلامة تلك القوافل.

ـ أظهر البحث لفتة طيبة من سلاطين المماليك، وهي حرصهم على مراعاة شعور حجاج المغول في بيت الله الحرام، وتأمينهم، فلم يقوموا بإيذائهم، أو ترويعهم، رغم مسلسل العداء الطويل الذي كان قائمًا بينهم وبين إيلخانات فارس.

ـ توصل البحث إلى أن إيلخانات فارس اهتموا ببعض الأعمال الخيرية في بلاد الحرمين الشريفين؛ وذلك بمنحهم العطايا والأموال لحكام مكة، وخدام الحرمين الشريفين، هذا فضلًا عن ما قاموا به من أعمال خيرية أخرى في تلك الأماكن؛ كتوفير المياه وإجرائها بمكة.

ثانيًا: التوصيات فهي:

أما التوصيات؛ فهي تتمثل في الآتي:

(١) أوصي الباحثين بالمزيد من دراسة الأمور الإيجابية في حياة المغول، كدخولهم الإسلام ودفاعهم عنه، واهتمامهم بقوافل الحج لبيت الله الحرام، وإبراز أن الكثير من فترات حكمهم لم تكن بالوحشية التي وصفتهم بها بعض المصادر.

(٢) ضرورة اهتمام المؤسسات العلمية، والمترجمين والمتخصصين بترجمة المزيد من المصادر التاريخية الفارسية والأجنبية عن عهود المغول المختلفة؛ لإثراء المكتبة التاريخية بالمؤلفات اللازمة لدراسة تاريخهم، لاسيما وأن هذه المصادر تحتوي على معلومات جديدة، ليست موجودة في مصادرنا العربية.

وفي النهاية: أرجو من الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، فهو من وراء القصد والسبيل، وبالإجابة جدير.

قائمة المصادر والمراجع[1]

* القرآن الكريم (جلّ من أنزله).

أولًا: المصادر العربية والمعرَّبة:

ـ ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م):

١ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق/ محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

ـ ابن أيبك الدَّوادَاري (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م):

٢ ـ كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء التاسع المسمّى بـ (الدُّر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تحقيق/ هانس روبرت رويمر، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م.

ـ البدليسي (شرف خان بن شمس الدين توفي بعد سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م):

٣ ـ شرفنامه، ترجمة/ محمد على عوني، دار الزمان، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

ـ ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت٧٧٩هـ):

٤ ـ رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار"، دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

ـ البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م):

٥ ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق/ على محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م.

ـ بيبرس الدَّوَادَار (ركن الدين بيبرس المنصوري ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م):

(١) رتّبْتُ هذه المصادر والمراجع هجائيًا مع استبعاد: "ابن"، و "أبو"، و "أل".

٦ ــ التحفة الملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ــ ٧١١ هجرية)، تحقيق/ عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٧ ــ زُبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق/ دونالد س ريتشَاردز، مؤسسة حسين درغام، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ــ ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

٨ ــ الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق/ فهيم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٩ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ــ حافظ أبرو (لطف الله بن عبد الله الهروي ت٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م):

١٠ ــ ذيل جامع التواريخ رشيدي لحافظ آبرو، ترجمة/ محمد عبد الله عبد السلام، في رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية وآدابها، جامعة المنوفية، جمهورية مصر العربية، ٢٠١٠م.

ــ ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

١١ ــ تذكرة النبيه في أيام المنصور وبَنِيه، تحقيق/ محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.

ــ ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن على ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

١٢ ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

ــ الحربي (إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير ت٢٨٥):

١٣ ــ كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق/ حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، السعودية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

ـ الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

١٤ ـ معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

ـ ابن جبير (أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير ت٦١٤هـ):

١٥ ـ رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

ـ ابن الجَزْرِي (شمس الدين محمد إبراهيم ت ٧٣٨هـ/ ١٣٨١م):

١٦ ـ تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، المعروف بـ"تاريخ ابن الجزري"، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ـ الجزيري (عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ت٩٧٧هـ):

١٧ ـ الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق/ محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

ـ ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـ):

١٨ ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة، الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ـ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م):

١٩ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المعروف باسم: "تاريخ ابن خلدون"، تحقيق/ خليل شحادة، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

ـ خواندمير: (غياث الدين محمد بن همام الدين محمد الحسيني ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م):

٢٠ ـ حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تصحيح: محمد دبير سياقي، از انتشارات كتابفروشي خيام، تهران، در هزار نسخة سال، ١٩١٤م. (باللغة الفارسية).

٢١ ـ دستور الوزراء، ترجمة/ حربي أمين سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

ـ ذبيح الله صفا:

٢٢ ـ تاريخ أدبيات إيران، انتشارات فردوس، خيابان مجاهدين اسلام، جلد سوم، تهران، جاب هفتم، ١٩٤٩م. (باللغة الفارسية).

ـ الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

٢٣ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.

٢٤ ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٥ ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق/ محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

ـ الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م):

٢٦ ـ مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

ـ الرمزي (محمد بن محمد توفي بعد سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م):

٢٧ ـ تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

ـ السمرقندي (عبد الرازق بن إسحاق ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م):

٢٨ ـ مطلع السعدين ومجمع البحرين، ترجمة ودراسة القسم الأول من الجزء الأول في رسالة ماجستير (غير منشورة)، للباحث/ أحمد رياض عز العرب، كلية الآداب، جامعة سوهاج، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٧م.

ـ الصَّفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

٢٩ ــ أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق/ علي أبو زيد، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣٠ ــ الوافي بالوفيات، تحقيق/ أحمد الأرناؤوط، تزكي مصطفى ، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

ـ العُمَري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):

٣١ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق/ مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

ـ الغياثي (عبد الله بن فتح الله البغدادي توفي آخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي:

٣٢ ـ تاريخ الدول الإسلامية في الشرق "آسيا الوسطى، إيران، العراق، بلاد الأناضول، بلاد الشام"، تحقيق/ طارق نافع الحمداني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

ـ ابن الفوطي (عبد الرزاق بن أحمد بن محمد ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م):

٣٣ ــ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق/ مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، ٢٠٠٣م.

ـ ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):

٣٤ ـ البداية والنهاية، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـ مجهول (من رجال القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين):

٣٥ ـ المنتقى من درة الأسلاك للحسن بن حبيب الحلبي، تحقيق/ عبد الجبار زكَّار، دار الملاح للطباعة والنشر، حلب، سوريا، الطبعة الأولي، ١٩٩٩م .

ـ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

٣٦ ـ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق/ جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٣٧ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٨ ـ المُقَفَّى الكبير، تحقيق/ محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٣٩ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ "الخطط المقريزية"، تحقيق/ محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ـ ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم المصري ت ٧١١هـ/ ١٣١١م):

٤٠ ـ لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

ـ النووي (أبو زكريا محي الدين بن شرف ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م):

٤١ ـ تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق/ شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لم تذكر سنة الطبع.

ـ النويري (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ت٧٣٣):

٤٢ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

ـ الهمذاني (رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م):

٤٣ ـ جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)،

ترجمة/ فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٤٤ ـ جامع التواريخ، مج (٢)، ج (٢)، (الإيلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخاتو خان)، ترجمة/ محمد صادق نشأت، وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع.

٤٥ ـ جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ترجمة/ فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤٦ ـ مكاتبات رشيدي، لرشيد الدين فضل الله الهمذاني، وقد تم ترجمته في رسالة ماجستير: للباحثة: ثريا محمد محمد، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨١م.

ـ ابن واصل (محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م):

٤٧ ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الجزء (٤، ٥) تحقيق/ حسنين محمد ربيع، مركز تحقيق/ التراث، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، لم تذكر سنة الطبع.

ـ اليوسفي (عماد الدين موسى بن محمد بن يحيي ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م):

٤٨ ـ نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق/ أحمد حَطيْط، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة والمترجمة:ـ

ـ إبراهيم محمد على مرجونة:

١ ـ المغول والحضارة الإسلامية "رحلة المغول من الاستكبار إلى الانصهار"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ٢٠١٠م.

ـ أحمد عادل كمال:

٢ ـ الطريق إلى المدائن، الشركة الدولية للطباعة، مصر، ٢٠٠٤م.

ـ إيرا لابدوس:

٣ ـ مدن إسلامية في عهد المماليك، ترجمة/ علي ماضي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

ـ إيرين فرانك، ديفيد براونستون:

٤ ـ طريق الحرير، ترجمة/ أحمد محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.

ـ بي. نن رشيدوو:

٥ ـ سقوط بغداد وحكمروايي مغولان در عراق (ميان سالهاي ٦٥٦ـ ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ـ ١٣٣٥م)، ترجمة/ اسد الله آزاد، مؤسسة چاب وانتشارات آستان قدس، رضوى، مشهد، ١٩٤٨م. (باللغة الفارسية).

ـ جعفر حسين خصباك:

٦ـ العراق في عهد المغول الإيلخانيين، الفتح، الإدارة، الأحوال الاقتصادية، الأحوال الاجتماعية، مطبعة العاني، بغداد، العراق، الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

ـ حَسَّان حَلاَّق، عباس صباغ:

٧ ـ المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

ـ حسن الباشا:

٨ ـ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٩م.

ـ حسين مؤنس:

٩ ـ ابن بطوطة ورحلاته "تحقيق ودراسة وتحليل" ، دار المعارف، القاهرة، مصر، لم تذكر سنة الطبع.

ـ رجب محمد عبد الحليم:

١٠ ـ انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م.

ـ شرين بياني:

١١ ـ المغول "التركيبة الدينية والسياسية"، ترجمة/ سيف على، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.

ـ صبحي عبد المنعم محمد:

١٢ ـ سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام (٧١٦ـ ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ـ ١٣٣٥م)، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

ـ عباس إقبال:

١٣ ـ تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة/ عبد الوهاب علّوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

ـ عباس العزاوي:

١٤ ـ تاريخ العراق بين احتلالين "حكومة المغول" (٦٥٦ـ ٧٣٨هـ/ ١٢٥٨ـ ١٣٣٨م)، مطبعة بغداد، العراق، ١٩٣٥م.

ـ عبد الحكيم العفيفي:

١٥ ـ موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، دار أوراق شرقية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

ـ عبد الفتاح السرنجاوي:

١٦ ـ النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية، دار الكتب الأهلية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٥م.

ـ فؤاد عبد المعطي الصياد:

١٧ ــ الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين "أسرة هولاكو خان"، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، قطر، ١٩٨٧م.

ــ كي لسترنج:

١٨ ـ بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة وتحقيق/ بشير فرنسيس، وآخر، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

ــ محمد داود القزاز:

١٩ ــ الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، بغداد، ١٩٧٠م.

ـ مصطفى عبد الكريم الخطيب:

٢١ ـ معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

ثالثاً: الرسائل والدوريات:

ــ أحمد هاشم البدرشيني:

١ ـ دروب الحج إلى الحرمين الشريفين في العصور الوسطى، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، لسنة ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥.

ـ إسماعيل عبد الرحمن الدورابي:

٢ ـ إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي والحضاري في قارتي آسيا وأوروبا (٦٥٣ـ ١٢٧٤هـ/ ١٢٥٦ـ ١٨٥٧م): رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠١٢م.

ــ سعيد بن دبيس العتيبي:

٣ ــ طريق الحج البصري أهميته التاريخية، بحث منشور في مجلة الدرعية، العدد السادس والثلاثون، المملكة العربية السعودية، لسنة ٢٠٠٧م.

ـ عبد الرسول خير أنديش:

٤ ـ أزمة الحضارة الإسلامية في عصر المغول، بحث منشور في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، إيران، العدد (٦)، ١٩٥١م.

ـ عبده علي ياسين:

٥ ـ العراق في عهد المغول الإيلخانيين (٦٥٦ـ ٧٣٦هـ)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر، ١٩٨٧م.

ـ ليلى أمين عبد المجيد:

٦ ـ طرق الحج إلى مكة المكرمة في عصر سلاطين المماليك (٦٦٧ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٦٨ـ ١٥١٧م)، بحث منشور بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد٧٦، لسنة ٢٠١٥م.

ـ وليد سعد الزامل، عبد الرزاق بن ثابت محمد:

٧ ـ تتبع درب زبيدة التاريخي من الكوفة حتى مكة المكرمة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، بحث منشور في مجلة كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١١٤١هـ.

ـ يوسف درويش غوانمة:

٨ ـ التجارة الدولية في مناطق شرق الأردن من جنوب الشام في العصر المملوكي، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، سوريا، مج٧، العدد (٢٣، ٢٤)، سنة، ١٩٨٦م.

9ـ Henry H. Howorth: History of the Mongols, London, 1876.

10 – Sykes Percy : History of Persia, London, 1921.